كيمياءُ السعادَة لمَن أرادَ الحسنى وزيادة

تأليف

الحبيب عمربن أحمد بن عبد الله بن طالب العطاس

نفعنا الله به وبعلومه في الدارين آمين

إعتنى به نجله

أحمد بن عمر العطاس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الغفار ، الذي خلق الليل والنهار ، وجعل الأشياء الكائنة الظاهرة والباطنة بمقدار، وجعل الجنة مصير الأتقياء والأبرار ، والظالمين أنفسهم بما جنت أيديهم وجوارحهم مصيرهم إلى النار ، نعوذ بالله من النار ومن غضب الجبار ، وجعلنا ممن سبقت لهم من الله الحسنى في سابق الأقدار ، ويحفظنا بما تجري به شر الأقدار ، ويعاملنا معاملة عبيده الأحرار ، الناظر إليهم بعين عنايته في سابق العلم ومراده ؛ بكرمه وجوده وفضله في هذه الدار وفي تلك الدار ، والصلاة والسلام على نور الأنوار وسيد الأبرار ومعدن الأسرار ، وأكرم من أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار ، سيدنا محمد وآله وصحبه وتابعيهم على قدم الإستقامة على أبين منار . وبعد : فهذه فائدة عظيمة وعائدة جسيمة متضمنة في الحث على طلب الإستقامة ؛ سميتها **(كيمياء السعادة لمن أراد الحسنى وزيادة)** وكنيتها بالتنبيه النبيه للفطن الذي هو معدود من الأكياس ، القائم على نفسه بماظهر منها وخفيه في الحركات والأنفاس ، فينبغي له أن يستقيم على الصراط المستقيم ، والصراط الذي قيل أنه أحد من الشعرة ، وأحد من السيف ، ولايستقيم عليه إلا من وفقه الله وأعانه عليه .

قلت : التوفيق عزيز ولذا ماذكر في الذكر الحكيم إلا في موضع واحد وهو قوله تعالى ﴿ **وماتوفيقي إلا بالله** ﴾ ولكن لكل شيء وسيلة يوصل الطالب إليه بسهولة ؛ ولاسيما وقد جرت عوائد الله الجميلة وهباته الجزيلة وعطاياه النويلة ومائدته البسيطة النويلة ؛ أنه سبحانه وتعالى وله الحمد والثناء الحسن أولا و آخرا قد ركب المسببات على الأسباب ، والمواهب على الإكتساب ، فقال فيما ندب واسترعى ﴿ **وأن ليس للإنسان إلا ماسعى** ﴾ ومن هنا قال بعض العارفين : الهمة والعزم يأتيان برسل التوفيق . وقال بعض العارفين والدالين عليه : واعلم رحمك الله أن علو الهمة غرس وضعه الله في الإنسان ؛ وذلك أن الله لما خلق الأنوار أوقفها بين يديه ؛ فرأى كل مشتغلا بنفسه ورأى نور الهمة مشتغلا بالله ، فقال له الحق سبحانه وتعالى : وعزتي وجلالي لأجعلنك أرفع الأنوار ، ولايحظى بك إلا الأشراف والأبرار ، ومن أراد الوصول فلايدخل إلا بدستورك علي ، أنت معراج المريدين ، ومراد العارفين ، وميدان الواصلين ، وفيك سباق السابقين ، وفيك لحاق اللاحقين ، وفيك تنزيه المحققين ، ومعالي المقربين . ثم تجلى سبحانه وتعالى عليه باسمه القريب ، ونظر إليه باسمه السريع

المجيب ، فاكتسبه ذلك النظر الإقتراب لكل ما بعد عن القلوب، وأفاد سرعة حصول المطلوب .

قلت : والعبور على الصراط في الدنيا الذي هو عبارة عن الصراط الموعود في الآخرة الذي من مشى عليه وجاوزه دخل الجنة ؛ هي الإستقامة الموجبة للخلود في دار الكرامة ، والنعيم المقيم المؤبد مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

قلت : ومن الإستقامة الإخلاص ؛ قال بعض العارفين : من طلب الإخلاص في أعماله الظاهرة وهو يلاحظ الخلق بقلبه فقد رام المحال ؛ لأن الإخلاص ماء القلب الذي به حياته والرياء يميته . وكفى في ذم الرياء ماذكره سيدنا عبد الله بن علوي الحداد في شطر من بيت ، قال رضي الله عنه : واعلم بأن الرياء يلقيك في العطب .

قلت : والعطب هو عين الهلاك بل هو هلاك الأديان لاهلاك الأموال والأبدان . وفي الحديث : إتقوا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل ، قيل وكيف نتقيه يارسول الله وهو أخفى من دبيب النمل ؟ قال : قولوا عند صباح كل يوم ثلاث مرات : اللهم إني أعوذبك أن أشرك بك شيئا أعلمه وأستغفرك لما لا أعلمه . المراد بالشرك الخفي هنا الرياء وهو العمل لأجل الناس . وكفى

بالنص ياصاح إعتبار . قال تعالى ﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولايشرك بعبادة ربه أحدا** ﴾

قلت : والعمل الصالح هو الخالص لوجه الله تعالى مع حضور القلب مع الله ؛ قال تعالى ﴿ **والعمل الصالح يرفعه** ﴾ أي يرفعه فيجعله نسيا منسيا . اهـ بمعناه .

قلت : والإشراك أي الشرك الخفي عند الصوفية طرو الخاطر عند الصلاة أوالذكر ، قال تعالى ﴿ **واذكر ربك إذانسيت** ﴾ أي إذانسيت ماسواه سبحانه وتعالى .

ثم نورد حكاية وإن كانت شاذة ولكن المقصود من الشجرة الثمرة ؛ روي عن إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه كان كثيرا ما يعمل إلى آخر النهار فإذا أعطوه أجرته نظر إليها وقال لأصحابه إني أخاف أن أكون لم أبذل قوتي كلها التي طلبها صاحب الزرع ثم يتركها ويذهب طاويا تلك الليلة . وكان يرى الحضور مع الله تعالى في عمل الحرفة شرط للحل ، وكل شيء عمله بلا حضور لايأخذ عليه أجرة .

قلت : وتحت هذه الحكاية حكمة وأي حكمة بل كناية عن عمل الآخرة كما لايخفى ذلك لكل ذي بصيرة منيرة . ومن المعلوم عند أرباب الفهوم أن من ذكرالله تعالى بغير حضور لاينال الثواب ، وفي هذا المعنى قال بعض الشعراء :

إذا السر والإعلان في المؤمن استوى   فقد عز في الدارين واستوجب الثنا

وإن خالف الإعـــلان سرا فماله   على سعيه أجرا سوى الكد والعنا

فإن خالص الدينار في السوق نافق   ومغشوشه المـــردود لايقضي المنى

قال الإمام الغزالي رضي الله عنه : وإنما مراد الطاعات وأعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيته وجلائه . قال تعالى ﴿ **قد أفلح من زكاها** ﴾ومراد تزكيته حصول أنوار الإيمان فيه أعني إشراق نور المعرفة . قال تعالى ﴿ **قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى** ﴾ وكان سليمان بن عيينة يقول : إنما أكثر القوم من ذكر الله تعالى لتبعد عنهم الدنيا ، فإنهم إذا ذكروا الله بعدت واذ تفرقوا عن الذكر أخذت بأعناقهم . وما أحسن ماذكره الوالد علوي بن عبد الله بن طالب من أثناء قصيدة له يقول رحمه الله :

على ذكرك مقيم أصبح وأمسي   وذكر الله ينفي الهم والرين

قلت : وأجمع الأعمال وأفضلها وأعلاها رتبة الصلاة ، فمن أخلص في صلاته من الخواطر فهو مستقيم ، فإن الخواطر

كالخطاطيف والكلاليب مثل ما جاء في وصف الصراط الممدود على متن جهنم طوله ثلاثة آلاف سنة ؛ ألف صعود وألف إستوا وألف هبوط ، والملائكة يمينا وشمالا يخطفونهم بالكلاليب وهي شهوات الدنيا تصورت بصورة الكلاليب مثل شوكة السعدان ، وكذا الخواطر التي تحصل للمصلي في صلاته ، وكذا الذاكر في ذكره كله أوبعضه ، وهذا هو الإشراك في العبادة . ويتناول هذا من قوله تعالى ﴿ **ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أوتهوي به الريح في مكان سحيق** ﴾ أي بعيد . ويفهم من قوله تعالى ﴿ **فتخطفه الطير** ﴾ هو لعله الشيطان لسرعة طيرانه ﴿ **أوتهوي به الريح** ﴾ هو الخاطر . والله أعلم . وقد ورد في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : لاتكن إمعة ، أي تهب مع كل ريح . وإلى هذا نسبه سيدي الوالد علوي في بعض قصائده بقوله :

ماكل داعي تلبيه إذا نـاداك فند من أيات وادي صوت داعيكا

قلت : فمن تأمل فيما يحصل بسبب إخراج حال كون الإنسان ذاكرا لله عن الحضور فيه مع الله هو شبهه بأضغاث أحلام ، فكما يتصور تطور الروح في المنام من سبات الأحلام

كذلك القلب والروح بواسطة إختلاسات الشيطان في التلاوة والذكر ، لأن النائم جسمه حاضر في محله والروح طائر ؛ كذلك الذاكر حال كونه غافل عن ذكره صورته قائمة وقلبه تتجاذبه الخواطر في أودية الفكر وهو مراد الشيطان .

قال بعض العارفين : من ظن بنفسه أنه محسن فهو ممن زين له سوء عمله . وقد أجمعوا السلف الصالح على مجاهدة نفوسهم في العبادات . قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه : وقد سمعت شخصا يقول لسيدي علي الخواص رحمه الله : أصليتم العصر ؟ فسكت الشيخ ولم يجبه ثم قال : لاتقول لي مثل ذلك فتوقعني في الكذب إذ لاتسمى صلاة إلا ماحضر العبد فيها مع ربه عز وجل من أولها إلى آخرها بحيث لايمر خاطره إلا حب الله تعالى ، وكونه بين يديه ، مايتلفظ به ويفعله من قراءة وذكر وركوع وسجود ونحو ذلك ، فقال الرجل فما أقول لكم إذا أردت أن أسألكم عن مثل ذلك ؟ فقال : له : قل لي هل قمت وقعدت مع الناس في الوقت أم لا ! . اهـ

قلت : وليكن الذاكر حارس على قلبه من أن يقتحمه عدوه لما روي أن الشيطان جاثم على قلب العبد فإذا ذكر الله خنس ، أوما هذا معناه . ولله در القائل حيث يقول شعرا :

والذكر أعظم باب أنت داخله   لله فاجعل له الأنفاس حراسا

فمن أراد الإخلاص فليجمع همه مع الله عز وجل في كمال الحضور والخشوع وذلك روح الصلاة وسرها ، فإن الله لاينظر إلى صوركم وأعمالكم وانما ينظر إلى قلوبكم ونياتكم . الحديث . وقال سيدنا عبدالله بن حسين بن طاهر رضي الله عنه شعرا :

فاحفظه يحفظك جا ذا في بيان   عن خاتم الأنبياء والمرسلين

قلت : وذلك متناول من قوله عليه السلام : إحفظ الله يحفظك . وقوله عليه السلام : من كان مع الله كان الله معه . قلت : وبالجملة فالإنسان حيث قلبه كان في أي مكان كان .

(فائدة جليلة) عن سيدي وشيخي الحبيب محمد بن سالم ابن القطب أبي بكر بن عبد الله العطاس في ضمن مكاتبة منه للفقير إلى أن قال رضي الله عنه : وكن على ما أنت عليه واعط كل لي يصلح له والمدار على القلب وسكونه وحضوره في أي مكان كان ، وقد مضوا السلف على ذلك ، ويشهد ذلك ماورد : من أخلص لله أربعين يوما نبعت الحكمة من ينابيع قلبه على لسانه . قال الوالد علوي رحمه الله شعرا:

جمع الهم خله هم واحـد لواحد   واترك الخلق مرة لاتعول على حد

واعتصم بالذي منه لك الخير والسد   الكريم الذي بابه لنا ماتقـــــلد

ثم قال رضي الله عنه في مجال الفكر لأنه من أعمال القلب :

واطلق الروح لاتفرح إذا هو مقيد   والتفكر عـلى بابه شهد كل مشهد

كل من له بصيرة دوب راعده يرعد   والمسقي يسقي دائم الـوقت سرمد

قال بعضهم على قوله تعالى ﴿ **ولله خزائن السموات والأرض** ﴾ خزائنه في السماء الغيوب ، أي لاينااله صاحبه إلا على سبيل التفكر لأنه من أعمال القلوب يدرك به عجائب الملكوت ، وفي الأرض القلوب .

وإلى هنا استرسل الكلام فلنرجع إلى المقصود وكله مقصود وهو الكلام على الإستقامة على الصراط المستقيم ، قال بعضهم شعرا :

من مال دحقه من البيضا في الشط ضاع   وامسى عشا للوحوش الضاريه والسباع

المراد من قوله : السباع هنا عبارة عن الشهوات النفسانية والخواطر الرديئة الشيطانية ، فتأمل أيها الواقف في تلك الشهوات النفسانية فإنها دقيقة وأنواعها كثيرة ، قال بعض العارفين : أميتوا الشهوات في أنفسكم ولاتميتوا أنفسكم في الشهوات ، فإن من جعل شهوته تحت رجله فر الشيطان من ظله ، ومن جعلها في قلبه ركبه الشيطان فصرفه كيف شاء بتسليط الله . وكان وهب بن منبه يقول : تصدا الشيطان لسليمان عليه السلام فقال له : ما أنت صانع بأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم إن أنت أدركتهم ؟ فقال : أزين لهم الدنيا حتى يكون الدينار والدرهم أشهى

إليهم ، أوقال إلى أحدهم من شهادة أن لآ إله إلا الله . قوله : تسليط لعله هو المراد من قوله تعالى ﴿ **زين للناس حب الشهوات** ﴾ الآية إلى آخرها . وفي الآية الأخرى ﴿ **واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم ومايعدهم الشيطان إلا غرورا** ﴾

قلت : ولاينجا من كيد الشيطان إلا الزاهدين ، ومن هنا يقول الشيخ أحمد باشميل رضي الله عنه شعرا :

قال بعضهم في تعريف الزهد في الدنيا وفي معناها : ليس الزاهد الذي لايملك شيء وإنما الزاهد الذي لايملكه شيء .

أخبرني بعض الإخوان المنورين في بيان الفرق بين الزهد والقناعة فقال : القناعة يكون صاحبه لاطلب له وإذا جاءه شيء قنع به ورضي ، والزاهد هو الذي إذا جاءه شيء أنفقه ولم يبقي عنده شيء لاقليل ولاكثير .

ومنها أي الشهوات شهوة الكلام ، قال بعضهم : الورع في النطق أشد منه في الذهب والفضة ، والزهد في الرئاسة أشد منه في الذهب والفضة . قال سيدنا أحمد بن حسن العطاس : الرئاسة إذا دخلت في قلب الإنسان صعبة ماتخرج إلا بشدة وبلوى وخلوة ، وقد يقال إن الشاب قد يعجز عن ترك الزنا وإذا كبر وتم عقله

قدرعليه ؛ وشهوة الرئاسة تزداد قوة بالكبر لاضعفا ، فالإنسان إذا لم يؤدب شهوته ويملك على نفسه الأمارة بالسوء أمرها شرا من البهائم والدواب ، واقرأ إذا شئت قوله تعالى ﴿ **أفرأيت من إتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا * أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أويعقلون إنهم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا** ﴾ وذم الرئاسة والجاه معلوم عند أرباب القلوب السليمة . وما أحسن ماقاله الحبيب علي بن حسن العطاس في ذم الجاه :

الجاه منجاه جا منجاه منجا عسر   يقع مولع معلق بالـــــبزاق الزفر
الخيبه الجاه من بر جاه دوبه مصر   على الجفا للملا في كل خيـــبه يخر

وقال سيدنا عبد الله الحداد رضي الله عنه :

ولاتطلبن الجاه ياصـــــاح إنه   شهي وفيه السم من حيث لاتدري

ومن حكم سيدنا الحبيب حسين بن عقيل بن يحيى يقول : ياويل من أشيرت إليه الأصابع ولو بخير .

قلت : ومن الرئاسة مع الجاه إطلاق اللسان . ومن كلام بعض الحكماء : إذا ضاق القلب إتسع اللسان وإذا ضاقت اللسان إتسع القلب . ومن هنا يقول لقمان الحكيم : الصمت حكمة وقليل فاعله . وكان جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول : قلت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ما أكثر ماتخاف علي ؟ فقال : هذا

وأشار إلى لسانه صلى الله عليه وآله وسلم . وكان الحسن البصري يقول : وآعجباه لابن آدم ملكان على نائبيه ولسانه قلمهما ؛ وريقه مدادهما وهو يتكلم فيما بين ذلك بما لايعنيه . اهـ

ولنرجع إلى مانحن بصدده قلت : والخواطر التي تحصل للمصلي أو الذاكر فإنها إختلاسات من الشيطان تخرجه عما هو فيه فلينتبه الغافل في حال ذكره لربه ومناجاته ووقوفه بين يديه واطراحه على باب مولاه فإنه لامحالة يراه ، وليقيم على قدم الإحسان وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

قلت : ولأهل الذوق وقفة عند قوله : (فإن لم تكن) أي إذا فنيت عن إرادتك النفسانية فعند ذلك تراه بعين قلبك وهناك يحصل الإحسان . اهـ قال الله سبحانه وتعالى ﴿ **واذكر ربك إذا نسيت** ﴾ أي إذا نسيت ماسواه سبحانه وتعالى . قلت : وما أحسن ماذكره الشيخ عمر بامخرمه قال رضي الله عنه :

وإن أردت الصفا الصافي ونيل الرغائب   قف على بابها وقفة فقير مراقب
خاليا عن علومه حاضرا ليس غائب   فاقد الحس والمحسوس من كل جانب

وقال الوالد علوي رحمه الله :

ياعلي كلها حضرة إذاقدك حاضر   وإن لك قلب شفت الكون كله مناظر
شفت مولاك ظاهر في جميع المظاهر   شفت مولاك أول باطنا ثم ظاهر

إلى آخر القصيدة . ومن كلام سيدنا أحمد بن حسن العطاس رضي الله عنه يقول : ومسجدك وحرمك حيث يخيم فيه قلبك . قال تعالى ﴿ **وإن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا** ﴾ قال العلماء في تعريف حقيقة الإعتكاف : هو عكوف القلب في حضرة الله بحكم الإستصحاب ، فينبغي للذاكر أن يلاحظ قوله تعالى في الحديث القدسي (أنا جليس من ذكرني وأنا معه حين يذكرني) ويلاحظ أيضا قوله تعالى ﴿ **فأذكروني أذكركم** ﴾ وقد جاء أن ذكر العبد فضل ذكر المولى جل وعلا ، وبهذه الحالات يجمع الذاكر همه بقدر مايقدر ويكثر من قوله : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك بعد كل مكتوبة . وعبارة قوت القلوب : قال الله تعالى ﴿ **إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون** ﴾ فأخبر إن جلاء القلوب الذكر وبه يبصر القلب ، وإن باب الذكر التقوى بذكر العبد ؛ فالتقوى باب الآخرة كما إن الهوى باب الدنيا . وأمر الله بالذكر وأخبر أنه مفتاح التقوى لأنه سبب الإتقاء وهو الإجتناب والورع . إلى آخر كلامه رضي الله عنه . قلت : وهذه العبارة هو ماعناه القائل حيث يقول شعراً :

وتزود التقوى فإن لم تستطع فمن الصلاة على النبي فتزود

قلت : وهذه الوسيلة للوصول إلى التقوى التي هي السبب الأقوى إلى رضا المولى وهو ذكر الله تعالى والإكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

فلنرجع إلى مقام الإحسان ؛ قلت : وهذا المقام أي مقام الإحسان هو ثمرة اليقين ، قال عليه السلام : تعلموا اليقين . وقال بعض العارفين : وقليل من اليقين خير من كثير من العمل . ويحصل بكثرة الأعمال الصالحة ومجالسة الصالحين ومطالعة كتبهم والمشي على سيرهم ، والتأدب بآدابهم ، والتخلق بأخلاقهم . ومن أنواع تحسين اليقين حسن الظن كما قال تعالى في الحديث القدسي (أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ماشاء) أي من الخير ، لأن حسن الظن ينفع صاحبه في الدنيا قبل الآخرة خصوصا مع العمل الصالح .

قال ابن عباد في شرح الحكم : حسن الظن أحد مقامات اليقين ، والناس فيه على قسمين ؛ خاصة وعامة ، فالخاصة حسنوا ظنهم بالله لما عليه من النعوت السنية والصفات العلية ، والعامة حسنوا الظن لما فيه من سبوغ النعم وشمول الفضل والكرم ، والتفاوت بين المقامين ظاهر ، المقام الأول : لما تحققوا المعرفة بالله واحتظوا بأنوار اليقين اطمأنت قلوبهم وسكنت نفوسهم فلم

يبقى فيه متسع لوجود تهمة ولامجال لسوء الظن ، وأرباب المقام الثاني لم يرتقوا إلى مقام الأفعال وهي متلونة عليهم في كل حال ، وعند ما لايلائم منها ربما تضعف عن تحمل مكارهها ؛ قوى قلوبهم فلا يحصل وجود هلع وجزع ، فليكن العبد عند ذلك مشاهد قوله تعالى ﴿ **وعسى أن تكرهوا شيئا وهوخير لكم** ﴾ وما أشبهه ، وليقس النادر على الغالب . اهـ . ذكر ذلك سيدنا أحمد بن زين الحبشي نفع الله به .

قلت : ولو لا في الإستقامة من الجزاء العظيم والفضل الجسيم والخير العميم من الرب الكريم إلا قوله تعالى ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولاتحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ماتشتهي أنفسكم ولكم فيها ماتدعون * نزلا من غفور رحيم** ﴾ وهذه الآية من آيات كثيرة .

ثم نختم هذه الفائدة بما طرق ذهني من درس عشية الجمعة في مسجد الجامع الموافق ١٨ رمضان سنة ١٣٥٨هـ على قوله تعالى ﴿ **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر** ﴾ فكما أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمناهي والأفعال المذمومة

بذلك الذكر بل هو أعظم لقوله تعالى ﴿ **ولذكر الله أكبر** ﴾ أي بمعنى أبلغ وأحصن وأبعد وأمنع من أن يكون صاحبه يلابس الفحشاء والمنكر والأفعال المذمومة ، ومن كان مع الله كان الله معه في كل حال ، وهذا محقق شرعا .

قلت : ومصداق ذلك قوله تعالى ﴿ **أقم الصلاة لذكري** ﴾ فهذا أعظم دليل على أن ذكر الله يصير صاحبه في حفظ الله وكنفه ورعايته ، فإن قلت وكيف يكون فضل الذكر أمنع في ردع الشيطان وورود وساوسه في قلب الإنسان ! فاعلم رحمك الله إن الصلاة لها مرتبة عالية عظيمة ، وهي عند أرباب الحقائق معلومة ، فإنا لاننكر ذلك بل الأمر كذلك لكونها من الحق جل وعلا لنبيه عليه الصلاة والسلام بلا واسطة ، فبهذه الحيثية صارت أعلى رتبة في العبادات ، ولأن أوامر الشرع جاءت بواسطة جبريل عليه السلام لأمته عليه أفضل الصلاة والسلام ، ولهذا صارت أفضل من الذكر بالنسبة له صلى الله عليه وآله وسلم ، ودليل ذلك قوله عليه السلام : أرحني بها يابلال . وقوله عليه السلام : وقرة عيني في الصلاة ؛ وحببها إلي مثل الطعام إلى الجائع والشراب للظمآن ، والجائع يشبع وأنا لا أشبع من الصلاة ، صلى الله عليه وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم .

قلت: وهذا المقام له بالخصوص ، وأما لغيره فقد قال تعالى ﴿ **وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين** ﴾ فهم مراتب بطريق التبعية ، وأما كمل الرجال فصلاتهم على أكمل الحالات لأن قلوبهم في الحضرة ، وأما غيرهم كل على حسب ماقسم له ؛ فعوام الناس تحصل لهم في صلاتهم وساوس وخواطر وهذا معلوم ، فجرب ذلك في نفسك إذا قمت إلى الصلاة ، فليس الخبر كالمعاينة ، فانظر إلى قلبك إذا كنت في صلاتك فالصلاة محك القلوب . سأل سيدي الحبيب علي بن محمد الحبشي شيخه القطب الرباني الحبيب أبوبكر بن عبد الله العطاس بقوله : المصلي تكثر عليه الخواطر والوساوس وإذا كان بحضرة ولي من أولياء الله يكون له حضور تام فما الفرق ؟ فقال رضي الله عنه : إن المصلي يطلب القرب من الله وإن العبد يضعف باله ويستوليه الشيطان ، وأما حضوره بين يدي ولي لله فإن الولي قد تولاه في جميع حالاته ، فإن المتجلي على جليسه هو الولي هو المولى ، فلا يستطيع الشيطان أن يحوم حول الحمى . اهـ وهو عجيب جدا . فإن قلت ولما ذا ذكرت الولي والوقوف بين يديه والكلام في سياق ذكر الله ؛ فاعلم أنهم إذا رءوا ذكر الله عند رؤيتهم ، وإلى هذا المعنى قال سيدنا عبد الله بن حسين بن طاهر رضي الله عنه شعراً :

إن رءوا يذكر المولى بهم حين يرءون

إلى آخر الأبيات . وكيف لا وقد قال بعض العارفين بالله : الواقف بين يدي الولي يندرج فيه ويدخل تحت إستيئلاء شموله فيكون الولي واسطة إلى الله فيحصل له بتلك الوقفة بواسطة الولي ما لايحصل بعبادته حتى يتقطع إربا إربا . اهـ بمعناه .

قلت : والفرق فيما تقدم ظاهر بين فعل الملك القادر القاهر وبين فعل العبد العاجز القاصر . ومن هنا فقد روي أن موسى على نبينا وعليه السلام أصابته جراحة في رجله وأعياه في مداواته ؛ فطلب موسى من الله سبحانه وتعالى أن يدله على دواء فأمره الله أن يأخذ من ورق شجرة في محل كذا ، فسارع موسى إلى الشجرة وأخذ منها ورقة ودقها ووضعها على الجراحة فشفاه الله ، فلما بعد مدة أصابه جرح مثل الأول فسار بنفسه إلى تلك الشجرة وفعل مثل فعله الأول فبقي الصوب ولم يصح ؛ فقال يارب إني داويت من تلك الشجرة ولم يصح صوبي ! فقال له تعالى : ذلك بأمري وهذا بأمرك أوما هذا معناه والله أعلم لأني حويت مضمونه .

وأما فضل الذكر لما أنه أمر منه سبحانه وتعالى في قوله ﴿ **فأذكروني** ﴾ الآية . قرن سبحانه وتعالى ذكره بذكر الذاكرين ، ومن المعلوم عند أرباب الفهوم أن ذكر الذاكر هو فضل ذكر الله ،

ولولا توفيقه للذاكر ما ألهمه الذكر ، وفي هذا المعنى قال سيدنا الحبيب علي بن عبد الله السقاف شعراً :

لو لم ترد نيل ما أرجو وأطلبه   من فيض فضلك ما ألهمتني الطلبا

وفي الحديث القدسي قال الله تعالى (أنا جليس من ذكرني وأنا معه حين يذكرني) واعلم أيها الواقف على هذا الحديث العظيم وتأمل وتحقق في معنى المعية . وقال سيدنا عبد الله بن حسين بن طاهر رضي الله عنه : فقد جعل بفضله ذكر الله أفضل العبادة وهو أخفها وأيسرها على الإنسان وأشدها تأثيرا في القلوب ، وأعظمها ثوابا عند علام الغيوب ، وأمحقها للسيئآت والذنوب ، وميدان السالكين ، ومنتهى العارفين ، فلامدخل إلا منه ، ولا وصول إلا به ، وإن كان في الحقيقة أنه لابد لمن أراد أن يبلغ المراد أن يحسم جملة من المواد ، وإن يسلك في أعماله على منهج السداد ، فإنا لاننكر ذلك بل الأمر كذلك ، ولكنا نرجو لمن جعل الله ذكره ديدنه وشغله وهجيراه أن يوقظه الله لسلوك الطريق ، وأن يلحقه بأحسن فريق ، وأن تعود ثمراته عليه ، وأن يقربه ويوصله إليه ، وخصوصا إذا لزم الدعاء وكثرة التضرع والإلتجاء ، باللجاء والإضطرار والإفتقار والإنكسار ، في أن يوقظه الغفار لأعمال المقربين الأبرار ، وأ كثر الندم والإستغفار وقت الأسحار ، وآناء الليل وأطراف النهار ، وأكثر الصلاة والسلام

على النبي المختار ، وعلى آله وصحبه الأخيار ، فإن ذلك مما يرقق القلوب ؛ فعند ذلك تتنزل الرحمات ، وتحصل النفحات ، ويقبل القلب التذكر والتذكير ، ويصغى إلى كلام الله وما جاء عن البشير النذير ، ويتأثر بالتخويف ، ويستبشر بالرجاء وأحاديثه ، فيسلك حيئنذ السبيل بالإجمال والتفصيل على أحسن دليل ، لقوله تعالى ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا** ﴾ الآية اهـ كلامه وهوعظيم القدر سامي الفخر .

وقال بعض العارفين بالله والدالين عليه : فينبغي للعبد أن لايأيس من قبول العمل إذا لم يجد فيه حضور وحلاوة فلو لم يكن إلاقصد الثواب به وسقوطه عن نظرك لكان كافيا . وقال غيره : ماوفق الله عبدا للعمل إلا وهو يريد أن يقبله منه ، فكن حسن الظن بربك واشكره على أن وفقك للقيام بأمره ولو لم تجد لذة حضور قلب ولاثمر عاجل فلاتطلب إلا ماهو طالبه منك . إلى آخر كلامه . اهـ من تقريب الوصول لسيدنا أحمد بن زيني دحلان . وما أحسن ماذكره سيدنا الحبيب عبد الله بن علوي الحداد حيث جمع فضائل الذكر في شطر من بيت وهو قوله رضي الله عنه : فإنما الذكر كالسلطان في القرب .

ومنها أي الفضائل مابلغني عن سيدي الحبيب محمد بن سالم العطاس أنه يقول متع الله بحياته : آخر الزمان يكون طريق

الآخرة تقرب على السالك ، ودليل ذلك ماترون في قرب مسافات الدنيا في آخر الزمان مثل المواتر تأتي مسير أيام في يوم واحد وكذا الطيارات تأتي مسافة يوم واحد في الموتر في ساعة واحدة أو أقل من ذلك ، أخبرني بذلك أحد الإخوان .

قلت : وأقرب من ذلك وأسرع في طي المسافة المعنوية ماسمعته من الوالد رحمه الله أنه قال : الوصول إلى الله (كفرتت لولب) قلت : ويشهد ذلك ماقاله سيدنا أحمد إذا تحركت لوالب الباطن ارتفع الإنسان كجناح الطير يشله إلى فوق . قلت : وممن رقى في هذه المراقي العلية ماسمعته مرارا عديدة من سيدي الورع الزاهد العالم العامل النبراس حسين بن علي بن هود العطاس لاسيما عند قيامه وقعوده يقول : يادليل المتحيرين ، وهذا دليل وأي دليل على علو مرتبته وسمو قدره رضي الله عنه ونفعنابه ، لأن صاحب هذا المقام لم يزل في الترقي من مرتبة إلى أعلى منها وهذه وراثة محمدية أحمدية نورانية ، فيالها من حالة ومرتبة ومنقبة . قلت : والحيرة في هذا المقام هي عين الهداية ولله در القائل حيث يقول شعرا :

صفات المعالي لاتنال بحيلة   لكل امرء ممن يطيع ومن يعصي

قلت وهذا ميدان لايحسن البسط فيه لأنه لاحد لغاياته ، ولايذكر إلا لأربابه ؛ وأما نحن فما منا إلا الإعتراف بالعجز فذلك

أسلم . قال الصديق الأكبر : العجز عن درك الإدراك إدراك . وقال سيدنا محيي النفوس أبي بكر بن عبد الله العيدروس لما أتى بمديحة في النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول في آخرها : قفي هنا ياقريحتي الركيكة هنا قفي . فعند ذلك قل : حسبي الله وكفى ، سمع الله لمن دعا ، ليس ورى الله منتهى ، ولاورى منتهى علمه علم ، ولاورى منتهى قدره قدر وإرادة ، فسبحانه الملك العظيم .

قلت : وأنا الفقير إلى الله أقول العجب ممن يتطلع إلى كتب الأجانب ومصنفاتهم ومؤلفاتهم وتنميق عباراتهم ودواه وشفاه في الدنيا والآخرة ؛ وفلاحه في الدنيا والآخرة في كلام سلفه في جميع ماورد عنهم من عادة وعبادة ، فيا لله العجب وكيف لايكون كذلك وقد أورد الشيخ العارف بالله زروق حيث يقول : واعلم أن أحزاب المشايخ منة أحوالهم ونكتة منالهم وميراث علومهم وأعمالهم ، وأعمالهم ممزوجة بأحوالهم مؤيدة بعلومهم ومسددة بإلهامهم مصحوبة بكراماتهم . اهـ

قال سيدنا أحمد بن حسن العطاس : إني لا أغبط لاولي ولا ملك إلا من يتبع السلف على قدم الإتباع . قلت : فإذا أردت الإطلاع على سيرهم فعليك بكتاب النبراس لسيدنا عبد الله بن علوي العطاس ففيه شفاء العليل ومرهم لكل قلب عليل ، فعليك به عليك ؛ فعند ذلك تقر به عينيك . اهـ وكفى ماقاله سيدنا

الحبيب عبدالله بن علوي الحداد في تعريف مقامهم المنيف وذلك من أثناء قصيدة :

والزم كتاب الله واتبع سنة ... واقتد هداك الله بالأسلاف

أهل اليقين لعينه ولحقه ... وصلوا وثم جواهر الأصداف

راح اليقين أعز مشروب لنا ... فاشرب وطب واسكربخير سلاف

هذا شراب القوم سادتنا وقد ... أخطا الطريقة من يقل بخلاف

وفيهم أيضا يقول الحبيب علي بن حسن العطاس من آخر قصيدة له رضي الله عنه :

السادة القادة مصابيح الهدى الكهف المكن ... أهل المكاسب والعجائب والمواهب والمنن

أهل النظر واهل العبر واهل السهر لا الليل جن ... تسري مدامعهم لخوف الله تجري على الوجن

إلى أن قال :

هم كنزنا هم ذخرنا هم حرزنا الدرع المكن ... فهم الملوك أنوارهم تملوك والمملوك لن

إلى آخر القصيدة . وكيف لا وهم فروع الشجرة النورانية والدوحة المصطفوية . قال عليه السلام : أدبني ربي فأحسن تأديبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم أدبه جبريل عليه السلام بأمر الحق جل وعلا . قال صاحب بهجة المحافل ما نصه أي في النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ثم حبب إليه صلى الله عليه وآله وسلم الخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه ، وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى

خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق ، وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال له : إقرأ فقال ما أنا بقاري ؟ قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : إقرأ فقلت ما أنابقاري ؟ قال فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : إقرأ فقلت ما أنا بقاري ؟ فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال ﴿ **إقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * إقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم** ﴾ فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال : زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر وقال : لقد خشيت على نفسي إلى آخرالعبارة . قال الشارح : قوله خشيت أي الجنون وذلك قبل حصول العلم الضروري له أن ذلك الذي جاءه ملك وأنه من عند الله ، وقيل خشي الموت من شدة الرعب ، وقيل المرض ، وقيل العجز عن حمل أعباء النبوة ، وقيل عدم الصبر على أذاء قومه ، وقيل أن يقتلوه ، وقيل يكذبوه ، وقيل يعيروه . اهـ

قلت : وفي هذا حكمة وأي حكمة علمه من علمه وجهله من جهله ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوةحسنة لمن كان يرجو**

الله واليوم الآخر ﴾ قال سيدنا عبد الله بن حسين بن طاهر رضي الله عنه :

أدبـــــــــه سيده   على الـورى سيده

وأدب الصحب بــها   بها رقوا أعـلى النهى

ومن أدبه صلى الله عليه وآله وسلم وتعليمه للصحابة ومنهم سيدنا أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لما سمع صلى الله عليه وآله وسلم قرآءتهما في القرءان حيث كان أبوبكر يخفض صوته وعمر يرفع صوته ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم لأبي بكر لم خفضت صوتك يا أبابكر؟ قال : لقد أسمعت من أناجيه ، وقال لعمر لم رفعت صوتك ياعمر؟ قال أوقظ الوسنان واطرد الشيطان ، فقال عليه السلام لأبي بكر إرفع صوتك قليلا ؛ وقال لعمر إخفض صوتك قليلا . قال صاحب كتاب التنوير بعد ما أورد هذه الحكاية : أراد صلى الله عليه وآله وسلم أن ينقل كل منهما عن مراده إلى مراده صلى الله عليه وآله وسلم . قلت : والشيوخ العارفين بالله في تربيتهم للطلبة على هذا المنوال إلى أن يكون أول قدم أن يخالف نفسه وهواها ويذلها ، ومن هنا يقول الوالد علوي رحمه الله : فهاهي عزها في طي ذلها . وقال أيضا :

جيئنا بغينا كرامة قل لبن عيدروس   أعظم كرامة رضا المولى وقتل النفوس

ومن أبيات أخرى يقول :

هوى النفس لاتتبعه خذها وصية

ومن تتبع طريقة السلف فهو على هذه الخطة ، ومن لاسلك مريده على هذا المسلك لايحصل منه شيء ؛ هذا في الغالب والنادر ماله حكم . قلت : وكم وكم قد رأيت فيمن تشممت فيه وتوسمت فيه ممن هو مظنة فلم أجد لاسيما من مظاهر الخير إلا صورة لاحقيقة ؛ لاسيما الأدب فضلا عن العمل بالعلم والزهد والورع . ومما بلغني من كلام الشيخ العارف بالله محمد باشميل أنه يقول : وكم بلغني من غالب الناس ينقلون عنه فإذا حصل الإجتماع بهم ماحصل منه عشور ما ينقل عنه من محامد الخصال إلا إثنين من الرجال وهم : الحبيب أبوبكر بن عبد الله العطاس والحبيب صالح بن عبد الله العطاس فإني لما اجتمعت بهما وجدت ما ينقل عنهما أقل من عشورما نظرناه من السيرة الحسنة والأخلاق المحمودة والشمائل المرضية ما لا أجد في كثير من غيرهما ، قلت : وهذا الذي نظره الشيخ المذكور هو في أعمالهم الظاهرة وفي صدورهم أكبر .

قلت : ولما إن الشي بالشي يذكر والحديث شجون ذكرت هنا حكاية للوالد رحمه الله مع الحبيب أحمد بن حسن العطاس ؛ مرة جاء الوالد إلى حريضة واجتمع بالحبيب أحمد المذكور رضي الله عنهما ونفع بهما ، فلما تمثل الوالد بين يديه وجرى الكلام بينهما مما هو

معلوم من مقامهما طلب الوالد من الحبيب أحمد بن حسن أن يدله على شيء من أعماله ليقتدي به ؛ فقال رضي الله عنه : الذي يظهر لكم كفاية أوماهذا معناه . فتأمل أيها الواقف عن السائل والمسئول ، وهذا ميدان لايحسن البسط فيه ، مايسع العاقل إلا التسليم في كل مايحكى عنهم رضي الله عنهم أجمعين ، شعراً :

وسلم لأهل الله في كل مشكل   لديك لديهم واضح بالأدلة

ومنهم من رقا مريديه وصفاه وهذبه أتم تهذيب مثل الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس تلميذه الشيخ علي بن عبد الله باراس حتى رقا مرقا عديم القرنا . ومن كلام الشيخ علي على سبيل التحدث بنعمة الله وما من الله به عليه على يد هذا الإمام كثيرا مايقول : أما أنا الحمد لله في الصف الثخين . ومن كلام الحبيب عمر في الشيخ علي : من فرق بيني وبين علي لايفلح .

ومنهم أي أرباب التربية سيدنا الحبيب علي بن حسن العطاس ؛ ومما يحكيه عنه تلميذه الحبيب جعفر بن محمد العطاس في تربيته على يد هذا الإمام قال : كان من عادته معي في الأكثر أن لا يدعني أقرأ عليه في شيء من الكتب وانما أحضر وأسمع قراءة غيري ، قال فعزمت في بعض الأيام على القراءة عليه في شرح الشيخ بن حجر على بافضل فرأى معي الكتاب وانتظر الفرصة لكي أقرأ ! فقال ما هذه النسخة التي معك ؟ فقلت شرح بافضل ؛

فطلبه مني وتصفحه وقال : نسخة مليحة ووضعه عنده ومكث قليلا وقال : ياجعفر ؛ فقلت لبيك ، قال قم هات نجو[١] للمحضرة الفلانية ، فسرت مسرعا لأعود ؛ فأمليت ذلك المحل وعدت ، فقال لي زد المحل الفلاني وللمدرسة وللمسجد وحتى أخلية السوق وهو في كل مرة يأمرني بمحل كذا ويقول : نق ذلك من كل مايؤذي ويتضرر المستنجي به ، قال فعدت إليه كالمستخفي من ما نالني من التعب ولم أقرأ في تلك العشية ، قال : وكنت في بعض الأيام جالسا عنده وقارئ يقرأ عليه فكنت إذا استشكلت معي كلمة سألته عن ذلك فكان يجيبني بعد ساعة ، ثم قال لي ياجعفر هات حجيرة صغيرة نحو الأوقية وقدرها لي بأصبعيه ولم أدرك ما أراد بذلك ، فخرجت فأصبت حجيرة مدورة ملسا فأتيت بها إليه فتناولها مني وقال : هذه المطلوبة ؛ ثم ناولني إياها وقال : إذا أتتك شهوة الكلام فاجعلها في فيك . اهـ وهذا شأن أهل التربية والتأديب والتسليك والتهذيب ، حتى تخرج هذا الإمام الصفوة وصار نورا مشرقا ، وقمرا تمد الأعيان من نوره لاسيما أهل القلوب السليمة القابلة للتلقي والترقي ، ذكر ذلك الشيخ عبد الله بن أحمد باسودان في كتابه المسمى (ذخيرة الأنفاس في مناقب الحبيب علي بن حسن العطاس)

---

[١] النجو ؛ هو حجر الإستنجاء

قلت : وهذا باب واسع والذي أوردناه دليل على ما لم نذكره ، فإذا أردت ذلك فاطلبه من مضانه ومحله ثم انظر الفرق والتفاوت والتباين مما ذكرناه ووقتنا هذا . قلت : وهذا بساط قد طوي فلا حول ولاقوة إلا بالله ، وكيف بك إذا أردت اللحوق بهؤلاء الرجال ؛ ولن تنطبخ في قدر الآداب على يد شيخ مرشد من أرباب التربية إلا أن تتمثل بما أمرك به وتتخلق بما في ضمن هذه الأبيات الآتية وهي لبعض العارفين :

إذا جيش الأحباب جيشا من الجفا   بنينا من الصبر الجميل حصونا
وإن ركبوا خيل الصدود مغيرة   أقمنا عليها للـــــوصال كمينا
وإن جردوا أسيافهم لقتـــالنا   لقيناهم بالـــــذل مدرعينا
وإن لم يروا في ودنا ووصالـنا   صبرنا على أحكامـهم ورضينا

قلت : وقد تحقق وتخلق بهذا الخلق الأخ محمد بن احمد مع الوالد رحمهما الله تعالى ، ومن هنا يقول الوالد علوي رحمه الله في منظومته على حروف الهجاء التي أولها الألف وآخرها الياء إلى أن قال :

الراء : رضيته بما قاله وقصه عليه   الزاي : زلته عندي ماتخالف بتيه

ومن كلام سيدنا جعفر بن محمد المذكور سابقا في شيخه الحبيب علي بن حسن من أثناء مديحة له رضي الله عنه :

عل بن حسن لوزلف قطعه يجي على الفصول

وإن ما زلف هو عسل صافي دوى للنحـــول

وقد فسر هذين البيتين الحبيب محمد بن عيدروس الحبشي فقال رضي الله عنه : حاشا مقام الحبيب علي مابايزلف لاقوله ولافعله لكن قد يزلف عن ذهن السامع من كونه ما أدرك فهم مايقوله لقصور باع السامع عن شأوي مرتبته ؛ من نظمه ونثره وقوله وفعله . اهـ بمعناه .

ولنرجع إلى ما نحن بصدده وهو المقصود وكله مقصود ، وانظر أيضا فيمن أردت أن تأخذ بيده ومرادك تسليكه طريقة أهله وسلفه ؛ ثم تأمره بأمر مخالف هواه وشهوة نفسه فلا يجي معك لو كان إبنك فضلا عن الغير ، فلا حول ولاقوة إلا بالله ، ولعله لم يبلغه قول القائل :

تصبر على مر الجفا من معلم　　　　فإن رسوم العلم في نفراته

قال سيدنا أحمد بن حسن العطاس : ومثله من تهذب وتربا على يد غيره مثل الفضة إذا دخلت في الكير لاتتغير ولاتصدا وإن صديت ينظفها الجلاء ، وأما من لاتربا ولاتهذب فهو مثل الفضة التي ما خرج خبثها إذا أردت استعمالها تفتت . وقد علم مما مر أن المريد يقبل ويتخذ ما يأمره شيخه وذلك مستوجب الإرتباط والنفع والإنتفاع للمريد الصادق ، وهذا متعسر في وقتنا إلا نادرا ممن مشى على هذه الخطة ؛ وصبر على تلك الغلظة

الصادرة من معلمه من الأوامر الظاهرة لاسيما في أمور الآخرة ، وهذا المطلوب عزيز جدا . قال سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : ذللت طالبا فعززت مطلوبا . مع أن الشيخ المرشد في الحالة الراهنة الذين هم في زماننا صاروا كالكبريت الأحمر ، وإذا فقد ولم يتحصل على مثل ما قررناه من شروط الشيخ المربي فليشغل نفسه بالأذكار النبوية الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما في معناه من أوراد السلف الصالح ؛ فإنه أقرب لحصول الإجابة ، وكذا يكفيه تلاوة القرءان والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإنه يصل إلى المقصود . اهـ من كلام سيدنا أحمد بن زين الحبشي مع زيادة لابأس بها .

وقال أيضا : كان سيدي العارف بالله أبو العباس بن عقبة الحضرمي تلميذ العيدروس يقول : وعليك بدوام الذكر وكثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهي سلم ومعراج إذا لم يلق الطالب شيخا مرشدا . اهـ

وإلى هنا نقبض عنان القلم فافهم مارقم تغنم وتكرم في ذه وفي ثم ، وهذه عندي من أعظم وأنعم ما من الله به على الفقير وذلك بجمعي كتابي غذاء الأرواح مما سبق نقله فإنه مهم في هذه الطريقة الموصلة إلى رب البرية ، فإنه شيخ من لا له شيخ ، فاجعله غذاك في صباحك ومساك تقر به عيناك ، وبه من أمراض

القلوب شفاك ، ويتحسن به دينك ودنياك ، فعليك به عليك ؛ تعود ثمرته وسره إليك . وبالجملة وفصل الخطاب مما وضعناه من الخطاب فإن هذا الوقت الراهن لعاد تتعب نفسك فيه على سبيل تعليم الغير ، ولعاد تضرب في حديد بارد ، ولاتطلب ماليس بواجد ، لأن الأهوية قد إنتشرت إنتشارا عظيما فما ترى أحدا إلا ويرى نفسه كامل ، والكامل لاسبيل لك إلى إرشاده وتعليمه وهذا هو الجهل المركب والدعوى الكاذبة ، ويظنون أنهم على علم وهم ممن قال الله فيهم ﴿ **يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون** ﴾ وأما أمور الآخرة يدعون إلى أنهم من أرباب العلم العارفين ولكن إذا امتحنته لم تجد شي عنده من ذلك ، ومن هنا يقول سيدنا أبي بكر بن عبد الله العيدروس شعراً :

من يدعي بما ليس فيه كذبته شواهد الإمتحان

وقال الشيخ عمر بامخرمة : من اختبرته لقيته في معانيه كذاب . ومن المعلوم إن الرئاسة إذا دخلت في قلب الإنسان واستحكمت فيه يعسر التخلص منها لما قيل : إن الطبع يغلب التطبع . قال الإمام الغزالي رضي الله عنه : إن الشاب قد يعجز عن ترك الزنا وإذاكبر وتم عقله قدرعليه ؛ وشهوة الرئاسة تزداد بالكبر قوة لاضعفا . وفي الحديث : المجاهد من جاهد نفسه .

ومما سمعته من كلام سيدي الحبيب عبد الله بن عمر الشاطري نفع الله به يقول : اللهم اطف نار الفتن ماظهر منها وما بطن ، الفتن الظاهرة معلومة فقد يقال : اللهم أشغل الظالمين بالظالمين وأخرجنا منهم سالمين ، وأما الفتن الباطنة فهي فتن الجوارح ، وعد بعضها ثم قال : وكلها ترجع إلى القلب من الخواطر الرديئة فليجاهد المؤمن نفسه على التخلص من تلك الخواطر حسب ما استطاع وهو المراد من قوله عليه السلام : رجعتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر . ولو يعلم غيره بما يخطر في قلبه لتر كه ولكن قد يحصل من هذه المجامع نظرة من ولي بما يخطر عن ما هو فيه فيصير صافي مصفا . إلى آخر كلامه رضي الله عنه ونفعنا به وبعلومه ، وأفض علينا من فائضات فهومه آمين ، اللهم لاتجعل ذلك آخر عهد منا إلى تلك المجامع المعمورة بالأنوار والأسرار والعطايا الكبار والمواهب الغزار ، ببركته آمين اللهم آمين

قلت : وما أحسن ماقاله الوالد علوي لإتهام النفس ولعل منزعه من قوله تعالى ﴿ **وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء** ﴾ الآية . قال رضي الله عنه وذلك من باب الإعتراف والإنصاف

لو ظهر عشرعشرالعشر من عشر معشار   من ذنوبي وهفواتي وذنبي والأوزار

كان لاشافنا صاحب رمانا بالأحجار   غير ربي كريم الوجه غـــفار ستار

إلى آخر القصيدة . ولما أن الشي بالشي يذكر والحديث شجون أذكر هنا كلام ورد على الفقير في هذا المعنى فأقول : بسم الله الرحمن الرحيم ، الله لطيف بعباده ، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ، فإذا نظر الإنسان أي المؤمن في نفسه فإنه ملطوف فليكثر من الحمد والشكر لمولاه الكبير المتعال من الأزل إلى الأبد ، بل في كل حال ماض وحال ، لاسيما إذا حصل عليه نوع من الإبتلاء في الحال أو في المال أو في العيال ، فلينسب ذلك إلى غيره ليهون عليه الأمر . ومن جلائل النعم واللطف من اللطيف الخبير ستره عليك من ظهور عيوبك على أهل زمانك ؛ ولو ظهر شي من بعض عيوبك على أقرانك لهجروك وقلوك وصرت كالمبعود ؛ فلاتستطيع أن تعاشرهم فضلا عن أن تجالسهم ، والمنادمة مع الصفا والمودة والتودد والتآلف ، وذلك من فضل الله وجوده وكرمه وإسبال ستره عليك ، هذا فيما بينك وبين العباد ، الصالح منهم والطالح على اختلاف طبائعهم ، وأما بارئك الذي خلقك وسواك ورباك وغذاك بأصناف النعم فإنه لايحجبه شي منك من الخطايا والأوزار والعصيان في كل حين وأوان ، بل أمطار سحب هواطل رحماته عليك هاطلة ، ونعمه الجليلة والخفية إليك متواصلة ، وأستار ستره عليك سابلة ، ومن هنا يقول سيدنا الحبيب علي بن حسن العطاس في سعة رحمة الله شعراً :

ورحمة الله وسيعة ماعليها حجيب   فاضت وقد عمت القاصي ولي هوقريب
وماخلق خلقه إلا لأجلها يامجيب   هي خير من كل ماتجمع وتكسب كسيب
والحمد لله ذي نادى بقول عجيب   سمعه منه نبيه مصطـــفاه الحبيب

إلى آخر القصيدة . قلت : ولعل قوله رضي الله عنه : وماخلق خلقه إلا لأجلها ؛ إلى آخرها هو المراد من قوله تعالى ﴿ **ولايزالون مختلفين** ﴾ إلى قوله ﴿ **ولذلك خلقهم** ﴾ وقوله تعالى ﴿ **قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون** ﴾ وقوله رضي الله عنه : والحمد لله ذي نادى بقول عجيب ، إلى آخره ، لعله هو مافي الحديث القدسي قوله تعالى (رحمتي سبقت غضبي) اهـ انتهت الفائدة المبشرة بسعة رحمة الله ، وكيف لا وقد نطق بها الكتاب العزيز قال تعالى ﴿ **ورحمتي وسعت كل شيء** ﴾ .

(إلحاق وتتميم للفائدة) في ذكر ستر الله سبحانه وتعالى ونعمه على عباده : وعبارة قوت القلوب لأبي طالب المكي في فضل الشكر على نعمه الجليلة ، والحقيقة الظاهرة والباطنة قال رضي الله عنه : ومن كبائر النعم ثلاث من جهلها أضاع الشكر عليها ، ومعرفة شكر العارفين ثلاث : أولها إستتار الله تعالى بقدرته وعزته

عن الأبصار ؛ ولو ظهر للعباد لكانت معاصيه كفر . الثانية : إختفاء القدرة والآيات عن عموم الخلق لأنها من سر الغيب وصلاح العبيد واستقامة الدنيا والدين . الثالثة : تغييب الآجال عنهم إذ لو علموا بها لما ازدادوا وكانوا يزدادون ولاينقصون من أعمال الخير والشر ذرة ، إلى أن قال رضي الله عنه : ثم بعد ذلك منَّ اللطيف المنعم بشمول ستره عليهم فحجب بعضهم عن بعض ، وسترهم عن العلماء والصالحين ؛ ولولا ذلك لما نظروا إليهم ، ثم حجب الصالحين عنهم .

قلت : وكذلك ستره سبحانه وتعالى لعبده عن عشيرته وأقرانه كما تقدم ذكره ، فهذه نعمه سبحانه وتعالى وأي نعمة ، وسر القدر لاينكشف إلا إذا دخلوا أهل الجنة الجنة فيكشف لهم عن سر القدرة . اهـ كاتبه سامحه ربه آمين .

(فائدة) قال بعض العارفين : إذا بدت عين الكرم والجود ألحق المسيئ بالمحسن وبقيت أعمالهم فضلا لهم ؛ فقال له : ابن عطاء الله : حتى تبدوا ، فقال هي بادية ، قال تعالى (سبقت رحمتي غضبي) ثم اعلم أيها الواقف إن لكل منطوق مفهوم ، قال بعض العلماء العارفين بالله والدالين عليه : فتنبه يا أخي لنفسك وإياك أن تظن أن إبليس إنقطع عنك حين ترى توالي عبادتك بل انظر فيها وابحث كل البحث . ومن المعلوم أن طريقة السلف عدم

الغفلة عن محاربة إبليس والتجسس على معرفة مكائده ومصائده ، وهذا الخلق قد أغفله اليوم غالب الناس كما لم يغفل عنا ، فينبغي لنا أن لانغفل عنه فإنه بالمرصاد حريص على وقوع العبد في سخط الله . قلت : قال سيدنا الحبيب علي بن حسن العطاس في طلب الحفظ من إبليس وكيده ؛ وأن يجعل العبد في حفظ الله وكنفه :

واجعل الحفظ قدامي وتحتي وخلفي	عن يميني وعن شامه ومن فوق يظفي
واحمنا من عيانة كل عيان مكفي	واكمد الخصم فان الخصم يجفي ويحفي
عينهم بالكدر ماقصدهم وقت يصفي	قل لهم واكثر آلاف المحبين والفي
حسبي إن كنت حسبي حسب محبوب يكفي	إن توليتنا طيبت عرفي وعرفي
وإن تركت الولاية جبت حتفي بكتفي	مالي إلا انت ماغيرك لعلتي يشفي
فإنك البادي الحق القديم المقفي	الغني القوي المستجيب الموفي
مالحد علم غيرك في حياه أوتوفي	أوبنفع أومضره في صباح أومعفي
ماهم إلا رهاين حكم في الغيب مخفي	يا الله اغفر ذنوبي إننا زل واهفي

قال الوالد علوي رحمه الله : الهاء : هوى النفس لاتتبعه خذها وصيه . وقال بعض الشعراء في اتخاذ الحذارة من الأعداء : الشدة الشدة بها طول المدى عامل عداك . وأعداء الإنسان أربعة : الدنيا والهوى والشيطان والنفس .

(فائدة) قال الهمداني في النبذة : فجنود النفس عشرة وهي : الحرص والشهوة والشح والرغبة والزيغ والقسوة وسوء

الخلق والأمل والطمع والمكر . وجنود الهوى عشرة وهي : الحسد والتجبر والعجب والكبر والغل والوسوسة والمخالفة في الأمر وسوء الظن والجدال . وجنود الشيطان عشرة : الظلم والخيانة والكفر وترك حفظ الأمانة والنميمة والنفاق والخديعة والشك في الواحد الخلاق والمخالفة لما أمر به ذو الجلال والإكرام والتغافل عن سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم . والدنيا جنودها عشرة : الرياء والفواحش والبطر واللهو واللعب والزور والبهتان والغش والبغض والتخليط في الشريعة .

قال سيدنا الحبيب علي بن حسن العطاس في قصيدته اللامية التي يقول فيها :

وبلغنا بحق المثاني ما ببـــــالي	واجعل من جميع الوجوه الخير فالي
وتعصمنا من ابليس ذي قصده قتالي	ودنيا السوء ذي ماعليها قط سالي
ونفسي فعلها كدرت صـافي زلالي	ومن شر الهوى ذي يخرب كل عالي
فهذه الأربعة في طلب حتفي عدا لي	معي يابالكرم فيك الآمال الطوال
رجوتك في المهمات ياذخري ومـالي	ولكن عاد رجواك ياجـزل النوال
توفقنا لطاعتك في دنيا الــــزوال	وثبتنا على الحـق لاتصرم حبالي

(قلت) وما أحسن ماقاله الوالد علوي في بيان عداوة النفس الأمارة بالسوء حيث يقول :

ماحدعدوك غير نفسك مشاق	النفس هي راس الشقاق

نفسك حجابك من جميع الرقاق   أيضا مكائدها دقـــــاقي

ومن قصيدة أخرى يقول نفع الله به :

بان لي بان لي يانفس يازوجة ابليس   بان لي بان لي كذبش علي والتلابيس

بان لي إنني في الحبس جيز المحابيس   حاسب إني غني تاجر ولافلس في الكيس

آه ثم آه ويش ذا الحال حال المناكيس   نكسي الناس ياسالم ونحنا مخاليس

عاد شي منقذه من فعلنا بيس به بيس   كم نظرنا وكم نسمع خطب والتداريس

غيرعميا بصم عن كل غالي مطاميس   لكن رجانا في المولى يفك المحابيس

ننظر البرق لي يلمع شبيه المقابيس   والمحول يحول في شعاب المعاريس

والمسقي يسقي طارحين الجواسيس   ليتنا عندهم باعزم إلى سارت العيس

باترك الدار والديره مع عرش بلقيس   لا ولا القصد ياسالم جنان الفراديس

قصدي ألا بنظره في عظيم التقاديس   الذي جل عن درك النظر والهواجيس

تمت الفائدة العظيمة والعائدة الجسيمة ، لأرباب القلوب السليمة مسلولة السخيمة ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين .

إلحاق وتتميم لما سبق : وذلك لما جبل عليه الإنسان من النسيان ، ومن هنا يقال :

وما سمي الإنسان إلا لنسيه   ولا القلب إلا إنه يتقلب

قال بعض العارفين : واعلم يا أخي أن البشر ولو بلغ في تحرير كتابه حتى حرره أشد تحرير فلا بد غالبا من نسيان شيء

في الأوقات ، والخلاف في محل التفصيل قال تعالى ﴿ **ولوكان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا** ﴾ وكان سيدنا علي الخواص رضي الله عنه يقول : سبب كون البشر لايسلم من الخطاء أو التحريف والتناقض ؛ عدم اليقظة الدائمة ولذلك يقع في الغفلات والسهو ، ولهذا يحصل لكل كاتب وجامع ومؤلف كتاب ، ونحن جعلنا هذه العبارة الآتية استطراد على ماسبق زيادة على ماورد عن الوالد علوي رحمه الله في سياق اتهام النفس ، وذلك على سبيل التكرير والتقرير ، وبالتكرير والتقرير يحصل التأثير والتنوير ، ولاينبئك مثل خبير ، وذلك حيث يقول رضي الله عنه في الأبيات السابقة :

آه ثم آه ويش ذا الحال حال المناكيس   نكسي الناس ياسالم ونحنا مخاليس

فمن تأمل هذين البيتين وجد ماقاله صحيحا ؛ لأن في أول الزمان مضوا العباد لاسيما أهل الصلاح منهم فهم قلوب بلا نفوس ، وعلى قدم الإتباع لمقتداهم الحبيب الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم الذي يليهم جبلوا على قلوب ونفوس خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ؛ ومن هنا يقول الشاعر :

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم   والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يزكي بعضهم   بعضا ليزعم أنه الشهم البري

قال سيدنا الحبيب علي بن حسن العطاس لما كان سباق غايات في فهم المعاني فهم من فحوى قوله : وبقيت في خلف يزكي بعضهم ، بعضا . ويتتبعون ستر العورات فكان بعضهم يزكي البعض ليدفع هذا عورة الآخر ، ويقابله الآخر بمثل ذلك ، لأن السعي في ستر العورات من الدين ومن الحياء الذي هو من الإيمان ، ومن المروءة التي تقيل العثرات وهذا في زمان القائل لتلك الأبيات .

قلت : وتأمل قوله : المقتدى بفعالهم ماقال بأقوالهم والفرق ظاهر ، وأما زماننا الذي ارتفعت فيه الديانات والأمانات وستر العورات ، وكثرت فيه كشف العورات وهتك العورات فهم في الغالب نفوس بلا قلوب ، ومن هنا أبدل الحبيب علي بن حسن العطاس البيت التالي ببيت آخر عوضا عن قوله : وبقيت في خلف يزكي بعضهم ؛ بقوله :

وبقيت في خلف يفجر بعضهم بعضا ليزعم أنه العلم البري

ثم نأتي بباقي الأبيات السابقة فقال رضي الله عنه :

أبني إن من الرجال بهيمة في صورة الرجل السميع المبصر
فطن بكل مصيبة في ماله وإذا أصيب بدينه لم يبصر

والمقصود في ذكر الفرقة التي نحن فيها وهو القرن الرابع عشر فما ترى أحدا منهم في الغالب لايصدر قوله وفعله إلا شهوة النفس وطوع هواه ، فمن كان أسيرا لهوى نفسه فمخالطته

ومعاشرته تعبا للقلب والروح والجسم ، ويورث الوهن في الجسم والحزن وهو مرض القلب ، قال حذيفة بن اليمان : يأتي زمان مجالسة الناس كجيفة حمار ، وتكون جيفة الحمار أحب إليهم من مجالسة المؤمن الذي يأمرهم وينهاهم . وعن علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه أنه يقول : سيأتي زمان يكون منكر المنكر فيه أقل من عشر ، ثم يذهب العشر بعد ذلك فلا يبقى أحد ينكر المنكر . ومن كلام بشر الحافي يقول : ستون من مردة الشياطين مايفسدون ماتفسد النفس في لحظة ، وإذا جعلت الأمور كلها على وفق المراد للعبد أتاه الخلل من قبل نفسه .

قلت : وهذا صحيح لاسيما وقد رأيت في كثير من مدعي الإستقامة وهي صورة لاحقيقة ، أي لم يتحقق بحقائقها المقررة عند أربابها من امتثال الأوامر واجتناب النواهي . ومن هنا قال بعض العارفين : اعلم أن ذوي المعرفة يعرفون الرجال بالحق ، والجهال يعرفون الحق بالرجال ، ومعناه أن العاقل ذي المعرفة بصحة رأيه إنما يثبت الفضيلة للإنسان إذا رآه مائلا إلى الحق ، فلمعرفته للحق يعرف أصحابه ، والجاهل لايعرف الحق فكل من كثرة صفوفه وأصحابه واشتهر في الناس قال هذا على الحق . اهـ

قلت : وهذا ميزان شريف يعرف به الداني من الشريف ، قال الشعبي : العلم ثلاثة أشبار ؛ من نال منه شبرا واحد شمخ

بأنفه وظن أنه ناله ، ومن نال ثاني شبر صغرت نفسه وعلم أنه لم يناله ، وأما الشبر الثالث فهيهات لم يناله أحدا أبدا . وفي الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : حب الثناء من الناس يعمي ويصم . وبالجملة إن الشهرة توجب الثناء ، ولذا قال بعضهم : لاتكون الراحة للمؤمن في آخر الزمان إلا إن كان خامل من الناس . وما أحسن ماقاله المؤدب أبي الحسن الحبيب علي بن حسن العطاس فقد أتى بطرف في الوقت الراهن ووصف أهله في قصيدة وهي هذه ، قال رضي الله عنه :

ياصاح دهــر المصائب	فيه انعكس كل صـائب
قلب قلوب العصـائب	في شأنهم شأن حنـشان
عدت عـــدود العوائد	وامسى الوفــا فيه بايد
أما الجفا جم زايــــــد	واصبح فــوائده خسران
واهوال جوره مهـــيله	وكل خصله فضــــيلة
أمست وبيله رذيـــله	ونورها عاد نـــــيران

إلى أن قال :

فقل لمن رام يســـعد	يبعد لعـــــله إذا ابعد
يسلم من الشتم والعـد	وكل بغي وعـــــدوان
فإني لهذا جربــــته	وذي بذرته صربــــته
بيس الثمر لو صربـــته	ياليت مــــذراه ماكان

هذا وفي قول طـــــه　　أخبار صادق رواهــــا
صحت فجانب سواهـــا　　تسلى حـــريق التلسان
إذا رأيت الهوى مـــير　　والشح يلفـــح كما الكير
والعجب بالرأي تقـدير　　معنى الحديث الـذي زان
فالزم لوازم فروضــــك　　واستر بسربك عـيوبك
وابك الخطا في عـيوبك　　ذي قد سلف سر واعلان
أيضا وقد قال عامـــر　　ذاك الفهـــــيم المخامر
قوله يزين المسامـــــر　　إذاشدا شادي الـــدان
في وصف ذا الوقت واهله　　تفصيل من بعد جمـــله
وبين الوصف كلـــــه　　وقال باعـــراب واتقان
من اجتهد بالنصيحـــه　　معهم بنيه صحيحـــــه
مايربح إلا الفضيحـــه　　رجموه بالغيب بهـــتان
قد كنت منكر كلامـه　　مظهر عليه المـــــلامه
حتى نظرت العـــلامه　　والصدق ذي قدخفي بان
قريت واقررت قولـــه　　وطفت بالحكم حولـــه
والحق ينطق بصولـــه　　وقلت علـــــمه لقمان
معاد للناس نـــــيه　　إلا الخبث في الطـــويه
وكل همه دنـــــيه　　فيها سخط رب ديـــان
فاهرب ومل من حماهم　　وعن كـــدر عيف ماهم

وقع مغـــــفل كلهم   أعمى البصر صـم الآذان
مهلا تعرض بعـــرفك   تنشب ولعـــاد تنفك
يسحبك خـازي تنفك   من العـــنا والتمحان
واسمع هديت الحـذاره   بلا ثمن للبـــــشاره
إلا الدعاء لي بغـــاره   من واسع اللطف مـنان
وخذ من الشر جـانب   وعـــاف شربه وجانب
من القراب والأجـانب   واسمح بشاغلـك سمحان
من قال لك سر تهد هد   قل ماعرف الشي ولا ازهد
واجلس مكانك توهـــد   مجلول في البيت سلطـان
مالك بنشبتك حاجـــه   تبلى بكسر الزجاجـــه
في الوجه مما تواجـــه   من الجفـــا والتمحان
فاسلك ورح في سبيلك   وكف قالك وقـــيلك
واجعل كتابك خليلـك   حـــلو الجنا ليس رمان
أحسن مجالس وصاحب   للسر كاتم وحـــاجب
فيه الكنوز العجـــائب   وكل مذخــور مصطان
فاسمع كلامي وصـــدق   وافهم نظامي وحـــقق
وافكر ودبر ودقـــق   وجـانب الحاسد الشان
ذي هو من الخلق مايل   ماهو لــــبرقه مخايل
ولايشوف الـــدلايل   ينكر مراسيم الإحسـان

هذا وفي القول غايـــــه	وفي الذي جـــا كفايه
والله ولي الهـــــدايه	نطلبه رحمه وغـــــفران
والفي صلاتي تجـــدد	بلا نهايه ولاحـــــــد
على رسوله محمـــــــد	النور مصباح الإيمــــان
وآله ونعم القــــــرابه	مع جميع الصحــــــابه
أهل الوفا والإصابـــــه	من جملة الإنس والجـان

تمت وبلخير عمت

قلت : وما في ضمن هذه القصيدة من التسلية لكل مكروب ومنضاق ومتعوب من رشقات سهام مصائب دوائر الدهر كفاية . ومن هنا يقول الشيخ المؤدب عمر بامخرمه على نسق هذا المبنى شعراً :

بن بخيت إن بغيت الدهر يمنحك دره	مل من الخوض فيما خاضوا الناس مره
ماخذوا فيه إلى يمنه فخذ فيه يسره	من صواب أوخراب أوصيك مل منه مره
لاترى ماترى إلا وتلقيه عــبره	إمش وحدك وخذ حدك ولو فيك قدره
لاتعدي به إنه من عدا فوق قدره	مارجع بعدها ألا في نـدامه وحسره
والعجب من زمانك فشف فيه وأدره	من صحبته وراعيته وجريت جـره
واحتملت المشقه في شفايته وامره	مادرى بك ولاراعـاك في وزن ذره
يبغا إنك برايه في مراميه تـــدره	أنت من حيث ماترضا وهو حيث يكره

(فائدة) قيل لبعض العارفين عظنا ؟ فقال عليكم بالقرءان ؛ عليكم بالسنة ؛ عليكم بالصلاة ، ويحكم هذا الزمان ليس بزمان حديث وانما هو زمان إحفظ لسانك ، واختفي في مكانك ، وعالج الليل ، وخذ ماتعرف ، ودع ماتكره .

ثم نرد على البحر المورود من نظم مولانا بحر العلوم ومنبع الفهوم أبي الحسن الحبيب علي بن حسن العطاس ممتثلا بقوله رضي الله عنه :

عل بن حسن قال استمع يافهيم وشل من قولي ضمارك

لاتصحب ألا كل صاحب كريم واجعله محبوبك وجارك

قلت : وجعلنا هذين البيتين كبراعة استهلال لما سيأتي من نظم الحبيب علي المذكور ولما تضمن من شرح ما نحن بصدده ، فقال رضي الله عنه :

ذابعض ما في البال من شكواي والثاني نعم لاحول ثم لاحول ثم لاحول من وقت الندم

إلى أن قال :

عم البلا والظلم واستولى الموالي والخدم

قلت : وأنا الفقير إلى رب الناس عمر بن أحمد العطاس لما تأملت الأبيات الآتية من أولها إلى آخرها وجدتها مشتملة على ما انطوى عليه الفقير من كسب الآثام ، فنسأل الله تعالى أن يمن علي بتوبة ناصحة تمحو بها الأوزار السابقة ، فإني كسبت ماكسبه

غيري فلاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم ، ونسأله السلامة من موجبات الندامة إنه سميع الدعاء ، ولهذا أحببت نقلها من أولها إلى آخرها ، فعسى ببركة واضعها أن يجعل خير عمري آخره ، وخير عملي خواتمه ، وخير أيامي يوم ألقاه ، اللهم أحينا حياة السعداء حياة من تحب بقائه ، وتوفنا وفاة الشهداء وفاة من تحب لقائه ، اللهم آمين ، والقصيدة المشار إليها هي هذه ، قال رضي الله عنه :

يقول خو علوي شجاني البرق في داجي الظلم ... حرك على قلبي شجوني حين رفرف وابتسم
فصرت أنا من جور ماحملت في حسره وهم ... مدهوش دير الفكر من شاغل في الجوف انضرم
غيث المحن والشوش فوقي والتكاليف أدلهم ... ودمع عيني من بكاها فوق خدي انسجم
وصار فكري من سبب مابي لقفاني عقم ... ورحت في سابات ما خرج تفاصيل الكلم
ماقول يحصيها فطين القلب حفظ أوبالقلم ... لكننا بابين المضمون واحكم ما احتكم
بابث في الشكوى على ارباب البصائر والهمم ... ذي يعرفون الرمز وأما الفسل مايجلي حشم
أول كلامي في ذنوبي ذي على ظهري ركم ... كسبتها بيئس المكاسب ذي بها جلب النقم
لو بعض ماحملت من حملي على الحيد انهدم ... وراحت أصباره من أرداف الثقل منها شظم
ولالها مرهم سوى التوبة وهي قطع الوذم ... تطفي لهايبها وتبري من بلاها والسقم
ذا بعض ما في البال من شكواي والثاني نعم ... لاحول ثم لاحول ثم لاحول من وقت الندم
وقت المهاجم والمراجم والمظالم والظلم ... ذي كل شي منه تغير يانديمي واهتشم
معاد شي باقي على اصله وان كسرشي ماالتحم ... ولايجد حد يتبع أهله في المزايا والهمم
كل قفا راسه وماقالته نفسه قال تم ... لا عاد يعصيها ولايعصي الهوى فيما حكم
أيضا ولاحد ينكر المنكر وهوعدا العلم ... والحاصل إن الوقت بلعم بالمصائب والنظم
من أين ما مالت مخيله جات مثليها وطم ... والناس هم والدين قد جحتهم ألا بالحشم

عم البلا والظلم واستولى الموالي والخدم ... راحوا قفا الدنيا وزهرتها وعبدوها صنم
واستقسموا بازلامها والقوا إليها المعتصم ... وحبوا أهل المال لو كانوا من الصم البكم
كل لهم يسعى ويلقي خيفة الحرب السلم ... لوكان راعي الشي به أنواع المصائب والجذم
قربوا إلى عنده وكل شم كفه واستلم ... ماخافوا العدوان حيث المبتلي ذو مال جم
وإن جا إلى قاضي قبل قوله وبالباطل حكم ... ولايخاف اللوم والمنقود في الدنيا وثم
وإن حد نقض حكمه وثنا في كلامه راح نم ... واركز خصومه ظاهره كالنار ذي فوق العلم
حتى إذا حد شاف مايلقي من الخزي انقطم ... وأما الذي قلت نقوده ماتجد له من وذم
ولايحبونه ولو صلى على الما وانحطم ... أعني ولو قدسار فوقه ما يزيد له وذم
من المحبة ذي لراعي الورق ذاك المحترم ... وإن زاد قدم فعل بين الناس في الظاهريذم
خلسوه من ثوبه وقالوا ذا يهودي متهم ... ولايزورنه ولو قطع معاليـــــقه الألم
وإن جا يبا يقضي بعلمه قالوا اسكت ياغشم ... لو بايحدثهم يداخلهم مع نطـقه صمم
لكن عسى فكه من المولى تجلي كل هم ... يبرد بها حالي ويبرا ما بجسمي من سقم
بحق طه والصحابه ذي بهم زان الحرم ... وحق ماجا في المثاني والعزائم واجضهم

قلت : وبالجملة لقد صدق لقمان الحكيم فيما قاله في كلامه : سيأتي زمان يحير فيه العاقل . وقال أيضا : سيأتي على الناس زمان لاتقر فيه عين حليم . وكيف لا وقد ورد عن الصادق المصدوق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ارحموا ثلاثة ؛ عالما بين جهال . إلى آخر الحديث . وقال عليه السلام : بدأ الدين غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغربا الذين يحيون ما أمات

الناس من سنتي . ومن هنا يقول الشيخ العارف بالله عمر بامخرمه :

بلغريب إنفتح لي في طريق الغنا باب

إلى أن قال رضي الله عنه :

من اختبرته لقيته في معانيه كذاب	آه من غربة أهل الدين يا قل الأغراب
قلت له فين ملجا اليوم من كان مرتاب	يمنه أويسره أين أهل الحجا أين الأنجاب
قال لي ياعمر نشدتك فيها التعجاب	ماترى نور شمس الحق ماله تغياب
خاب من لايرى شمس الهدى ياعمر خاب	قلت زدني بيان إني لمنهجك ذا حاب
قال نهج النبي وآثار صفوته الأصحاب	سر عليها ولاتنظر إلى كثرة أجناب
فإنهم لاش والله خير من جمع الأرباب	ثق به أعبده سله إن شئت تلقاه وهاب

قلت : وفي الحديث القدسي قوله عليه السلام : ارحموا ثلاثة ؛ عالما بين جهال . ولعله بمعنى الغريب كما في الحديث الثاني ، وكذلك ماذكره الشيخ عمر بامخرمه . ومن المعلوم إن الغريب يستوحش من الموالف كما سبق من كلام لقمان الحكيم وما في معناه ، فاللائق به أن يكثر من التضرع إلى الله لاسيما بقوله : اللهم آنس وحشتنا بطاعتك يامؤنس الفرد الحيران في مهامه القفار ، إلى آخره . ثم لاتظن أيها الواقف أن هذه العبارة أي في وصف العالم بكونه متحير من عدم المساعد من الإخوان والأخدان لاسيما في هذا الزمان ؛ حيث كونه مثل الغريب المتوحش ؛ لا ، ليس هو

كذلك بل في غاية الأنس والراحة باستغنائه بربه ومناجاته ، ويشهد ذلك ماروي عن ذا النون المصري حكي أنه قال : خرجت ليلة من وادي كنعان فلما علوت الوادي إذا بسواد قبلي ؛ فحققت النظر فإذا هي إمرأة ، فقلت من هذا السواد ؟ فقالت ومن هذا الرجل ؟ فقلت غريب ! فقالت سبحان الله هل مع الله غربة . اهـ

وأما قولي فاعلم أن الحيرة في هذا الموطن عين الهداية التي هي ثمرة العلم النافع لأنها تحصل من الفكرة إذا فكر الإنسان فيما مضى عليه وفيما حصل منه من المخالفات والتقصيرات ؛ تاه قائلا : ياحسرتاه على ما فرطت في جنب الله ، وصار كالمبهوت من جهة مولاه الذي خلقه فسواه وغذاه ، فيكون حينئذ في حيرة . ومن هنا قال سيدنا علي بن حسن في قصيدته المشتملة على جملة من أنواع التفكر إلى أن قال :

إذا تفكرت فيما كنت فيه وفي　　　كيف المصير إلى التعريف بالعرف
يحـير لبك في هذا لحسرة ما　　　فرطت فيه من الإنصاف والنصف

أتينا من القصيدة الشاهد هنا وهي بليغة جدا فعليك بها ، يميلون إليها السلف الصالح لماتضمنتها من الحكم والتوحيد فعليك بها ، وبالجملة فإن المؤمن تارة ينظر بعين بصيرته فيما أسدى إليه مولاه من النعم الجزيلة والعوائد الجميلة سابقا ولاحقا ، ظاهرا

وباطنا ، فعند ذلك يغلب عليه حسن الظن والرجاء الحسن ، فيستأنس بربه لابغيره مما سواه ، وتارة ينظر إلى أفعال نفسه منذ ركب المولى جل وعلا فيه العقل إلى أن شاء الله ، فحينئذ يلتجي إليه ويهرع ويفزع على عدد الأنفاس ، وهذا يورث الخوف والرجاء ، فالخوف يسوقه والرجاء يقوده إلى أن يلقى ربه ، وهذا وصف المؤمن حقا . وفصل الخطاب لمن أراد العلو لمعالي الأمور لاسيما في هذا الزمن الراهن القرن الرابع عشر ، فمن أراد المشي في وادي منحدر بماء يغرف بغواربه وأراد الصعود فقمين أن لايستطيع إلا بمكابدة وقوة ، والأولى أن يعمد في جانب الوادي لا من حيث قوة جري الماء فعسى ولعل ينجو ويصل إلى مقصوده . اهـ كاتبه

وأما ما جاء في وصف من تحلى بالعلم النافع وذم الجهل ، قال بعضهم شعراً :

يا أيها العالم المرضي سـيرته أبشر فأنت بغير الماء ريان
ويا أخا الجهل لو أصبحت في لجج فأنت ما بينها لاشك ظمآن

ولولا في شرف العلم وفضل طالبه وشرفه في الدنيا إلا مارواه معاذ ابن جبل رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومدارسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه من لايعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة ، وهو الأنيس في الوحدة ،

والصاحب في الخلوة ، والدليل على الدين ، والمصبر على السراء والضراء ، والوزير عند الأخلاء ، والقريب عند الغرباء ، ومنار سبيل الجنة ، يرفع الله به أقواما فيجعلهم في الخير قادة سادة هداة يقتدى بهم ، أدلة على الخير تقتص آثارهم ، وترمق أفعالهم ، وترغب الملائكة في خلتهم ، وبأجنحتها تمسحهم ، وكل رطب ويابس لهم يستغفر ؛ حتى حيتان البحر وهوامه ، وسباع البر وأنعامه ، والسماء ونجومها ، لأن العلم حياة القلوب من العمى ، ونور الأبصار من الظلمة ، وقوة الأبدان من الضعف ، يبلغ به منازل الأبرار والدرجات العلى ، والتفكر فيه يعدل بالصيام ، ومدارسته بالقيام ، به يطاع الله عز وجل ، وبه يعبد وبه يوعد وبه يمجد وبه توصل الأرحام ، وبه يعرف الحلال والحرام ، وهو إمام والعمل تابعه ، يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء . نسأل الله تعالى حسن التوفيق . انتهى الحديث العظيم الفائدة ؛ العظيم المائدة . وصدق القائل حيث يقول شعراً :

وكل فضـــيلة فيها سناء ففضل العلم من هاتيك أسنى

ثم اعلم أيها الطالب اليقظان إن العلم علمان نافع وضار .
قلت : وشرح المقامين يطول وقد بين إمامنا في الدنيا والدين وحجة الإسلام والمسلمين، محيي الدين الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين وغير ذلك من كتبه النافعة كالبداية ؛ وحصل ذلك واختصره

وصفاه في كتابه المسمى (الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين) فجزاه الله عنا وعن المسلمين خيرا ، ونفعنا الله به وبعلومه ، وأفض علينا من فائضات فهومه آمين .

وعبارة الإحياء في بيان العلم النافع قال رضي الله عنه : العلم النافع هو مايزيد خوفك من الله وفي معرفتك بعبادة ربك وفي رغبتك في آخرتك ، ويقلل رغبتك في الدنيا وتقصير أملك ، ويفتح بصيرتك بآفات عملك لتحترز منها ، ويطلعك على مكائد الشيطان وتلبيسه على العلماء . إلى آخر كلامه رضي الله عنه .

قلت : تنبيه لأولاد العلماء وأبناء الصلاح الذين آباءهم كانوا صدور المراتب ، قال سيدنا الحسن البصري رضي الله عنه لما سمع رجلا يقول : المرء مع من أحب ، فقال له : لايغرنك يا أخي هذا القول فإنك لن تلحق بالأبرار إلا إذاعملت بمثل أعمالهم ، فإن اليهود والنصارى يحبون أنبيائهم وليسوا معهم في الجنة لتخلفهم عنهم في الأعمال ومخالفتهم . اهـ . ولله در القائل حيث يقول شعراً :

لئن فخرت بآباء لـــهم شرف فقد صدقت ولكن بئس ماولدوا

قال الإمام حجة الإسلام الغزالي في كتابه المسمى (الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين) وأما غرور العصاة من المؤمنين فقولهم غفوررحيم وإنما نرجو عفوه ؛ فاتكلوا على ذلك وأهملوا الأعمال ، وذلك من قبل الرجاء المحمود في الدين ، وإن

رحمة الله واسعة ونعمته شاملة وكرمه عميم ، إنا موحدون مؤمنون نرجو بوسيلة الإيمان والكرم والإحسان ، وربما كان منشأ حالهم التمسك بصلاح الآباء والأمهات وذلك نهاية الغرور ، فإن آبائهم مع صلاحهم وورعهم كانوا خائفين ، ونظم قياسهم الذي سول لهم الشيطان أن من أحب إنسانا أحب أولاده ، فإن الله قد أحب آبائكم فهو يحبكم فلا تحتاجون إلى الطاعة ، فاتكلوا على ذلك واغتروا بالله ولم يعلموا أن نوحا عليه السلام أراد أن يحمل ابنه في السفينة فمنع ؛ فأغرقه الله بأشد ما أغرق به قوم نوح ، وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم استأذن في زيارة قبر أمه وفي الإستغفار لها فأذن له في الزيارة ولم يؤذن له في الإستغفار ، ونسوا قوله تعالى ﴿ **ولاتزر وازرة وزر أخرى** ﴾ وقوله تعالى ﴿ **وأن ليس للإنسان إلا ماسعى** ﴾ فإن من ظن أنه ينجو بتقوى أبيه كمن ظن أنه يشبع بأكل أبيه أويروى بشرب أبيه ، والتقوى فرض عين لايجزي فيها والد عن ولده ، وعند جزاء التقوى يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ، إلا على سبيل الشفاعة ، ونسوا قوله صلى الله عليه وآله وسلم : الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ؛ والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني . إلى آخر الحديث . وقوله تعالى ﴿ **إن الذين آمنوا والذين هاجروا**

وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمت الله والله غفور رحيم ﴾ وقال تعالى ﴿ **جزاء بما كانوا يعملون** ﴾ وهل يصح الرجاء إلا إذا تقدمه عمل ، فإن لم يتقدمه عمل فهو غرور لامحالة ، وإنما ورد الرجاء لتبريد حرارة الخوف واليأس ، ولتلك الفائدة نطق به القرءان ، والترغيب في الزيادة لامحالة .

قلت : ومن الآيات قوله تعالى ﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا** ﴾ الآية . ومن تمام كلام سيدنا حسن البصري السابق قوله لما سمع من يقول : المرء مع من أحب إلى آخره قال رضي الله عنه : وآ عجباه من قوم أمروا بالزاد ونودوا بالرحيل وهم جلوس يضحكون ، فإن من كان الليل والنهار عليه فهو يسار به ولايشعر . قلت : ومما سمعته من الوالد شيخ بن عبد الله بن طالب يرويه عن جده طالب بن علي يقول : إن الشيطان إذا لم يستطيع على العالم أن يغويه بشيء يقول : ولو بايكون الوفا في عيالك . قوله ولو : هذه كلمة يؤتى بها للتوعد بالعقوبة أو ماهذا معناه . شعراً : وكفى من تخلف الإبطاء .

وعبارة العهود المحمدية للإمام الشعراني يرويه عن الشيخ علي الخواص رضي الله عنهما قال : وسمعته مرة يقول : إنما كان غالب أولاد الأولياء والعلماء لاحياء فيهم ولا أدب ولافضيلة ؛ لأنهم

عكارة طهور آبائهم حين تصفو من الكدورات فتنزل في نطفهم ، بخلاف أولاد الفلاحين والعوام الغالب عليهم اكتساب الفضائل لموت آبائهم من غير تصفية .

وقال الشيخ عبد الله بن أحمد باسودان بعد ما أورد هذه العبارة من كلام الشيخ علي الخواص فقال : وكلامه رضي الله عنه كالتعليل لما كان عليه أكثر أهل مصر أنه غالب أولاد الأولياء والعلماء لاينتجبون ولاتكون النجابة إلا في أولاد الفلاحين العوام كما ينقل ذلك عنهم ، وهذا منزع صوفي والأول هو الأكثر والأغلب ، أي أن أولاد العلماء والصلحاء ملحقون بآبائهم بطرح نظرهم عليهم واعتنائهم . اهـ . ولله الأمر من قبل ومن بعد .

قلت : وأنا الفقير الحقير المتعثر في حبال الذنب والتقصير فلا نجاة لصاحب الخطايا والأوزار كمثلي إلا سلوك سبيل التفكر فيما مضى من التقصيرات والهفوات ، ولأن الفكر من أعمال القلب ، وذرة من أعمال القلب تفضل على أعمال الجوارح بأضعاف كثيرة . وفي الحديث : تفكر ساعة خير من عبادة سنة . وقال بعض العارفين : المؤمن حقا من لازم الذكر ، والمخلص حقا من اتصف بالفكر ، لأن الذكر عنوان الفكر ؛ والفكر معدن ينابيع الذكر ، ومن هنا يقول عليه السلام : من أخلص لله أربعين يوما تفجرت

الحكمة من ينابيع قلبه على لسانه . ولله در القائل حيث يقول شعراً :

وعرفت أنك خالـقي ومؤيدي ومصاحبي في سائر الحالات
أنت الـذي سويتني ووهبتني عقلا ليرشدني إلى الخـيرات
وجعلت فضل الفكر يعدل ساعة منه بأضعاف من الطـاعات

قال سيد الطائفة الجنيد رضي الله عنه : أشرف المجالس وأعلاها رتبة مجالس الفكر في ميدان التوحيد . اهـ

قلت : ومن هنا وردت على الفقير كلمات أحببت إثباتها هنا وإن كانت ركيكة المبدأ لمن نظر إلى القائل ، ومن اقتطف من ثمارها حالية الجنا يثنا وهي هذه : فلزوما على كل عاقل أن يوظف له ساعة من ليله ونهاره في التفكر والإعتبار امتثالا لقوله تعالى ﴿ **فاعتبروا يا أولي القلوب والأبصار** ﴾ فإذا نظرت إلى من تحصل لهم نكبات وحسرات وقصرات مع صلاح أعمالهم فكيف بك أيها المقصر إذا عاملك ربك الكريم الحليم العظيم بألطافه في جسمك وقلبك وأهلك وعيالك ومالك ، وهذا من فضل الله الفائض عليك ، فقد عاملك بما هو أهله ولابالا بما يحصل منك من العيوب والأفعال المذمومة مع العجز والكسل في الطاعة ، فاللآئق بك التوجه التام بقلبك وقالبك وتملي زوايا قلبك بالحمد والشكر تكون

دائما شاكرا ذاكرا ، فإن حمد النعم الشكر ، ومن كفر وسهى ولهى وطغى قال تعالى ﴿ **فأما من طغى* وآثر الحياة الدنيا * فإن الجحيم هي المأوى** ﴾ ويحصل ذلك في الدنيا قبل الآخرة ، وأما أرباب الإبتلاء مع صلاح أعمالهم كما تقدم ذكره فجزاهم من ربهم جزاء موفورا ، قال تعالى ﴿ **وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا* متكئين فيها على الأرائك لايرون فيها شمسا ولازمهريرا** ﴾ إلى آخر الآيات من سورة الدهر . فإن الله سبحانه وتعالى هيأ لعباده الصالحين منازل في الجنة لايبلغوها بأعمالهم ولكن بالإبتلاء في نفوسهم وصبرهم على ما قضى ومنع وأعطى ، والمنع في حقه سبحانه وتعالى لعبده الصالح عطاء ، لأن عطاءهم بسبب المنع مؤجل غدا ، فإن الله قال ﴿ **ولايظلم ربك أحدا** ﴾ ومن هنا يقول سيدنا العارف بالله الحبيب علي بن محمد الحبشي من أثناء قصيدة :

إن العطا إمداده متنوع ... ياحسن هذاك العطا المتنوع

إلى أن قال :

يارب لي ظن جميل وافر ... قدمته أمشي به يسعى معي

اللهم اجعلنا من القوم الذين يحبهم الله ويحبونه ، واجعلنا ممن رعته العناية في جميع الحركات والسكنات في العادات

والعبادات ، فإن العادات بصوالح النيات تنقلب عبادات ، اللهم يا من وفق أهل الخير للخير وأعانهم عليه وفقنا للخير وأعنا عليه آمين .

وقال صاحب الحكم العطائيه : مانتفع القلب بشيء مثل عزلة يدخل بها في ميادين فكره . قلت : وإلى هذا المقال أشار سيدنا الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر في وصيته نذكر طرفا منها ، قال رضي الله عنه :

وسر وطر بالفكر	في بره والبحــــر
وفي الفنا والقـبر	وفي الجزا والحشر
والجسر والكتاب	والوزن والحساب
والنار والعـذاب	وشدة العـــقاب
وجنة النعـــــيم	ونظـــــر الكريم
فالفكر رأس الحكمة	وهو سراج الظلمة
فاطلب له في الخلوة	وترك كل جلـــوه
ياحبذا الخمــــول	والعالم المجهـــــول
ليس له فضـــول	بربه مشــــــغول
بل هو بـبد لازم	دائم له مـــــلازم
مراقب الأنفـاس	ناس لكل النـاس
قد كف عنهم شره	إن لم يصلهم بـــره

أنفاسه كـــــنوز   غـــدا بها يفوز
جليسه الإلــــه   أنيسه مـــولاه
طوبى له طوبـــاه   في ذه وفي أخـراه
يا الله لنا بحـــبه   من عالي المحـــبه

وقال سيدنا أحمد بن زيني دحلان رضي الله عنه : ومهما تيسر الفكر فهو أشرف العبادات ؛ وذلك بعد كلام ورد منه طويل في هذا المجال إلى أن قال : إذ فيه أي الفكر معنى الذكر لله تعالى وزيادة أمرين أحدهما : زيادة المحبة إذ لايحب القلب إلا من اعتقد تعظيمه ، ولاتنكشف عظمة الله سبحانه وتعالى إلا بمعرفة صفاته ومعرفة قدرته وعجائب أفعاله ، فيحصل من الفكر المعرفة ، ومن المعرفة التعظيم ، ومن التعظيم المحبة . اهـ من شرح القصيدة الرائية لسيدنا عبد الله الحداد رضي الله عنهم أجمعين . ومن موضع آخر يقول رضي الله عنه في أقسام مراتب الفكر فقال : وفكر الزاهدين في فناء الدنيا وقلة وفائها لطلابها فيزدادون بالصبر زهدا فيها ، وفكر العابدين في جميل الثواب فيزدادون نشاطا إليه ورغبة فيه ، وفكر العارفين في الآلاء والنعماء فيزدادون محبة للخالق سبحانه وتعالى .

قلت : وقد أحسن وأجاد في هذا المعنى سيدنا محيي النفوس أبي بكر بن عبد الله العيدروس حيث يقول :

وأفقر الناس في الدنيا وضرتها		قلب من الشوق من حب الإله خلي
وعكسه إن أغنى الناس قاطبة		قلب من الشوق من حب الإله ملي

ومما ينبغي للمؤمن أن يكثر من الحمد والشكر ، وأجمعها صيغة قولك : الحمد لله ، كما سيأتي من كلام سيدنا عبد الله الحداد ، وفضائل الذكر والشكر لاتحتاج إلى البيان والتفسير لقوله تعالى ﴿ **فأذكروني أذكركم واشكروالي ولاتكفرون** ﴾ قلت : وهذه الآية عظيمة لها معاني وأسرار وخبايا وعطايا غزار ، ومزايا لاتحصى ولاتستقصى لمن له أدنى بصيرة منيرة ، علم ذلك من علمه وجهله من جهله . وقد عظم الله الشكر لإقترانه به ،ورضي بالشكر مجازاة له من عباده لفرط كرمه ، وفضل الشكر عظيم لايعلمه إلا العلماء العارفين . قال سيدنا علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه في بيان مراتب العبادة : إن قوما عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار ، وقوما عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد ، وقوما عبدوا الله شكرا فتلك عبادة الأحرار . ولولا في فضل الشكر إلا قوله تعالى ﴿ **لئن شكرتم لأزيدنكم** ﴾ لكفى وشفا ، وما أحسن ماقاله بعضهم :

إذاكنت في نعمة فارعها		فإن المعاصي تزيل النعم

(فائدة) قال بعض العارفين بالله : الحمد لله ثمانية أحرف ، فمن قال الحمد لله من خالص قلبه دخل الجنة من أي أبوابها شاء . قلت : ومما لايغفل عنه من أنواع النعم نعمة إيجاد الإيمان ومحبة الطاعة في قلبك وإمدادهما ، وكذلك كراهية الكفر والمعصية فإن ذلك من النعم العظيمة التي لامدخل للعبد فيها ، ولولا تولي الله تعالى بتبينك النعمتين في القسمين لتاه في ظلمات الضلالات ؛ وغرق في بحار الجهالات . اهـ من كلام بعض العارفين .

قلت : ومما ينبغي لمن يقرأ سورة قل ياأيها الكافرون أن يتأمل ما انطوى عليها من المعاني فقد جمع الله سبحانه وتعالى فيها تحقيق العبودية وكمال نعمة الإسلام الذي هو ضد الكفر ، وأن الكافر هو الذي إذا طرقه طارق مما يخالف هواه تسخط وتبرم ، أي يتكلم حينئذ بكلام يوجب سخط الله عليه ، بخلاف المؤمن والمسلم فإن دأبه الرضا والتسليم فيما قدره الله أحكم الحاكمين ، ولذا قال تعالى حاكيا عن المؤمنين ﴿ **لكم دينكم ولي دين** ﴾ أي سيجزأ كلا بعمله ونيته في الدنيا والآخرة جزاء وفاقا ، وهذا مشاهد لاسيما في عذاب العاصي بالله في الدنيا قبل الآخرة بتشتيت همه ، وأما الراضي في نعيم ، قال عليه السلام : سكون النفس من النعيم . وقال عليه السلام : جعل الله الروح والفرح في اليقين والرضا . الحديث إلى آخره .

قلت : وضد الفرح الهم وهو بتوقع الشك . قال الشافعي :

الهم فضل والقضاء غالب وكائن ما كتب في اللوح
إنتظـــر الروح وأسبابه أليس ما كتب من الروح

قوله : فضل أي لغو لايدفع المقدور ولافائدة فيه . قلت : وأما قوله عليه السلام في الحديث السابق : سكون النفس من النعيم . ومن المعلوم لايعرف الشيء إلا بضده ، فقد روي عن بعض الأنبياء أنه شكى إلى الله من أذية قومه وأراد لهم العذاب فقال الله سبحانه وتعالى : لقد عذبتهم بأشد العذاب ! قال وماذاك يارب ؟ قال : العداوة فيما بينهم والبغض ، فقال يارب : أريد لهم عذاب أشد من ذلك ! فقال تعالى : وأي عذاب أشد من ذلك استيئلاء بعضهم البعض وهو العذاب الأكبر . قلت : ويشهد ذلك قوله تعالى ﴿ **قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أومن تحت أرجلكم أويلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض أنظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون** ﴾

قلت : ومن كلام سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه يقول : حسنتان لاتضر معهما كثر السيئات : الرضا بقضاء الله والصفح عن عبادالله ، ومن عمي قلبه إتخذ دينه هزوا ، ومن اشتغل بالخلق إتخذ دينه لعبا .

(فائدة) قوله : والصفح عن عباد الله من كلام سيدنا الحسن الشاذلي فقد روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سأل سيدنا جبريل عليه السلام عن قوله تعالى ﴿ **فاصفح الصفح الجميل** ﴾ قال : أن تصفح عن من ظلمك ثم لاتذكر مظلمته . قلت : وأن يضاف إلى الصفح بالدعاء له بدل الدعاء عليه فإن ذلك من شيم الكرام ومن الأخلاق المحمودة . قال بعض الحكماء : شرف النفس أن تحمل المكاره كما تحمل المكارم . اهـ

ثم نرجع إلى ما نحن بصدده قال صاحب الحكم العطائية : مانتفع القلب بشيء مثل عزلة يمدبها ميادين فكره . وأما ماورد في فضائل الذكر فلا يحصرها حاصر وتضيق عنها نطاق الدفاتر ، قال الشيخ أبو العباس رضي الله عنه : ولما كان المذكور لايجوز عليه وصف الفقد والعدم ؛ ولايمنعه حجاب ولايحويه مكان ولايشمل عليه زمان ، ولايجوز عليه الغيبة بوجه ، ولايتصور بحوادث المحدثين ، ولايجري عليه صفات المخلوقين ، فهو حاضر عينا ومعنى ، وشاهدا سرا ونجوى ، إذ هو أقرب من كل شيء ، وأقرب إلى الذاكر من نفسه من حيث الإيجاد له ، والعلم به والمشيئة فيه والقدرة والتدبير والقيام عليه ، خلق الخليقة فلا تلحقه أوصافها ، وأوجد الأعداد فلاتحصره معانيه سبحانه هو العلي الكبير . اهـ

قلت ومن ثمرات الذكر وفوائده ومنافعه السلامة من الآفات الدينية والدنيوية .

ومما حصل للفقير من ذلك أنه كان في يوم الجمعة ١٨ رمضان سنة ١٣٥٨ هـ تلوت أوراد الصباح من الأذكار حتى غلبني النوم وكنت عازما ذلك اليوم على فعل شيء ؛ فلما توجهت إليه آخر النهار حصل حجاب فيما بيني وبين ذلك الشيء الذي أردته ، فتعجبت من ذلك فإذا هو فعل غير محمود العاقبة ، فصرفني الصارف عن ذلك ببركة تلاوتي الأذكار في صباح ذلك اليوم ، فالحمد لله على ما أولانا من النعماء ، وعلمنا من الآيات والأسماء ، وشرح بها صدورنا من الشك والعمى ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ويولي نعما ، اللهم كما أنعمت فزد ، وكما زدت فبارك ، وكما باركت فلاتسلبه ياولي كل نعمة .

(فائدة) قال بعض العارفين : إذا أراد الله أن يولي عبده فتح عليه باب ذكره ، فإذا استلذ الذاكر فتح عليه باب القرب ثم يرفعه إلى مجالس الأنس ، ثم أجلسه على كرسي التوحيد ، ثم رفع عنه الحجب وأدخله دار القرب ، وكشف له الجلال والعظمة ، فإذا وقع بصره على الجلال والعظمة خرج من حسه ودعا نفسه ، ويحمل حينئذ في مقام العلم بالله فلا يتعلم بالخلق بل بتعليم الله وتحليه لقلبه ، فيسمع ما لم يسمع ويفهم مالم يفهم . اهـ

قال سيدنا عبد الله بن حسين بن طاهر في فضل الذكر ، قال رضي الله عنه : فصل في الحث على ذكر الله :

ويامريد الخـــــير ودفع كل ضــــير
والفوز بالجـــنان مع رضا الرحــــمن
والأنس في الحــياة وحالـــــة المات
اقطع لكل عائـــق وافــن عن الخلائق
واجعل زمانك ذكرا سرا أخي وجهــــرا
ودم على الأذكـــار بالليل والنهــــار
بالقلب واللســـان في سائـر الأحيـان
الذكر غرس الجنـة يؤنسك في المجـــنة
وهو الوقا والجـــنة من شر إنس أوجنة
وهو الرفيق الـدائم والصاحب المـلازم
فاقطع به زمـــانك واعمر به جـــنانك
فاسمع أخي مشورتي واعمل على نصيحتي
تحمد حين تقـــبر تشكر حـين تحشر
والذكر ما كمثـــله في نفـــعه وفضله
وهو لــــه قشران كما له لــــــبان
فارق إلى المعـــالي وغايـــــة الكمالي
والله ذو إفضـــال لا تأيسوا من حالي

ومن هدى للمجـد وبذل كل جهـــــد
وسار في السويـــه البيضاء النقـــية
لابد يعــطى السؤلا ويدرك المـــأمولا

ثم نختم هذا الكتاب بما ختم به منظومته رضي الله عنه ونفعنا به وبعلومه ، وأفض علينا من فائضات فهومه آمين ، وذلك تبركا وتيامنا بكلامه ومناجاته واعترافه إلى ربه تعالى لأني وإن أعلم من نفسي أني لست أهلا لما هنالك ولاسيما ماسطرته ونقلته في سلوك تلك المسالك ، فأقول لعلي أحظى بذرة مما حظي به من اعتذاره ودعائه وتضرعه ، وذلك بفضل الله وكرمه وجوده وامتنانه واحسانه ، قال رضي الله عنه : فصل في طلب العذر والدعاء إلى أن قال :

فيها عيوب جمـه وظاهـــرة للأمه
كالزحف والتكرير واللحن والتقصـير
فاعذر أخي عـذرا واستر أخي سـترا
فهي مـــن المعيب إلا لـدى حبيب
عسى لها قـــبول وعلمها معـــمول
ناظمها فقـــــير وذنبه كــــــثير
والقلب منه قاسي وفاسد ونـــاسي

إلى أن قال :

يارب ياكـــــريم　　يا حي ياقـــيوم

يا من بنا رحـــيم　　وفضله عمــــيم

ياسامع الدعـــاء　　ورافـــع السماء

ياذا العطا الهـتان　　والجود والإحسان

أصلح لنا السريرة　　ونور البصـــيرة

وأصلح القـــلوبا　　واغفر لنا الـذنوبا

واستر لنا العيوبـا　　وأعطنا المحـــبوبا

واكشف الكروبـا　　واكفــنا المرهوبا

أحسن كما أحسنت　　واستر كما سترتـا

وزد كما زدتـــا　　وجد كما قد جدتـا

أتمم بما أنعمــــتا　　وما به مننـــتا

واحفظ لما أكرمتا　　به وما عرفـــتا

واختم لنا بالحسنى　　يارب واعف عنا

فإننا ظلمــــنا　　أنفسنا وخـــنا

نقـــول باللسان　　ماليس في الجنان

ونظهر الإحسانـا　　ونخفي البهتانـــا

نأمر بما لانفـــعل　　ونأتي ما لانجـــهل

إحساننا مسـاوي　　وصدقـنا دعـاوي

نرائي الخـــلائق　　وللورى نـنـــافق

يا ربنا اعـــــترفنا بأننا اقـــــترفنا
وأننا أسرفـــــنا على لظى أشرفنـا
فتب علينا توبـه تغسل كل حوبـه
واستر لنا العورات وآمن الروعـــات
واغفر لوالديـــنا رب ومولوديـــنا
والأهل والإخوان وسائر الخـــلان
وكل ذي محـــبه أوجـيرة أوصحبه
والمسلمين أجمـــع آمـــين ربي أسمع
فضلا وجودا منـا لاباكتساب منـــا
بالمصطفى الرسول نحظى بكل سـول
صلى وسـلم ربي عليه عـــد الحب
وآلـــه والصحب عداد طش السحب
والحمـــــد للإله في البدء والتناهي

خاتمة الخاتمة نسأل الله حسنها مع العافية والسلامة :
أحببت أن أختم بها هذه العبارات الرائقة ، والمشارب الهنية لذوي القلوب السليمة مسلولة السخيمة من كدورات البشرية ، وذلك من كلام آبائنا وأخوالنا أهل صفاء الطوية تفاؤلا كيلا نحول أو ننصرف عن ماهم عليه من السيرة والأخلاق المحمودة والشمائل المرضية ، ومنهم سيدي وقرة عيني لذيذ المشارب الوالد علوي بن

عبدالله بن طالب ، فنورد هنا قصيدة من قصائده تبركا وتيامنا بكلامه وأنفاسه الظاهرة وهي هذه ، قال رضي الله عنه :

إلـــهي عافني من شر نفسي ومن شر الهوى وابليس والدين
ولابغـيرك إلهي يحصل أنسي وأسعدني بلطفك في الطـريقين
واطلع في سما مهـجتي شمسي يصير الغيب عندي رؤية العين
على ذكرك مقيم أصبح وأمسي وذكر الله ينفي الهم والـــــرين
على مرسى السلامة بانرسي بجاه المصطفى محبوبنا الـــزين
فياربي منحني عـــلم قدسي وهب لي من قسوم الخير قسمين
على وديانا يانـــــود نسي يحـول كل من يرعض بسيلين
وبانغرس مقالع خير غـــرسي وباتلــــقي ثمر من كل زوجين
بفضل الله يحصــل كل أنسي ويبدل فعلنا المعيوب بالـــزين
وصلى الله على الهادي محمـد صلاة ينتفي عنا بها الـــــرين

ثم نثبت هنا مكاتبة وصلتني من الوالد رحمه الله تعالى وهو آخر كتاب منه للفقير وبعد ذلك عقب خبر وفاته وانتقاله إلى دار البقاء وهي هذه ؛ قال رضي الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة منقبله ومثواه آمين ، في آخر خطابه بعد ذكر الصادر : وعند وصوله إليكم مع الفرح والسرور ، ادعو لنا ورحمة الله قريب من المحسنين ، وإن الله بجاه حبيبه محمد يعجل بالرحمة رحمة القلوب والجدوب آمين ، وأثر الرجل معنا باقي وربنا العافي والشافي ـ والقرآءات

مستمرة وبالأنوار معمورة معنى وصورة ، وقسمكم الوافي وادعو لنا كما نحن لكم داعون ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . إلى آخر المكاتبة ، وتاريخها عشر جماد أول سنة ١٣٤٧ هـ . وكانت وفاة الوالد في : ٢٥ رجب من السنة الجارية فجر يوم الإثنين .

مكاتبة أخرى من الأمجد الجليل الأوحد ؛ الأخ علي ابن الوالد أحمد بن عبدالله بن طالب العطاس متع الله بحياته في عافية آمين وهي هذه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وتغفر السيئات ، وأسأله سبحانه وتعالى الثبات ، وصلاح الأمر على ممر الأوقات ، وتكفير ما مضى وما هو آت ، وذلك بواسطة سيدالسادات ، وقدوة القادات ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، وتابعيهم وأحبابه ، إلى جناب عالي الجناب ، الأخ الأواب ، القائم في المحراب ، من أوتي فصل الخطاب ، ويأتيه العجب العجاب ، سيدي الأبر عمر ابن الوالد أحمد بن عبد الله بن طالب العطاس ، لازال محفوفا بكل سرور ، مدفوعا عنه جميع الشرور ، آمين . صدور المسطور من الصدور إلى مهبط التجلي والنور ، والقلوب على محبتكم والشوق إليكم متطابقة ، والألسن بحسن سجاياكم ناطقة ، وما في الفؤاد لايسعه الواد ، والقلوب شواهد الغيوب . هذا ونهدي أزكى السلام وأسنى التحية والإكرام

، إلى من خفقت له الأعلام إلى المناقب العظام ، المعني بهذا الكلام وركيك النظام ، ومن حضر شريف المقام من بداية الكلام ،واللطف حاصل والجود متواصل ، وذلك لاسيما بعد قدومنا من الحرمين بعد أداء النسكين اعتلانا مثل الجرب في الأيدي والرجيل وحسبنا الله ونعم الوكيل ، والدعاء وصيتكم بالشفاء ، والعفو عمن هفا ، ويااليالي الصفا عودي ياليالي الصفا . هذا وقد توجه الأولاد علوي بن سالم بن أحمد الكاف وأخيه صالح بن محمد إلى البلاد والشوق إليكم زاد ، من حل خير ناد ، فعسى الله يجمع الوصل بمحض الفضل ، وفي سعفهم الشيخ عمر بن عفيف صاحب ميخ أصحبهم الله السلامة ، في الرحيل والإقامة ، وترو بيدهم بنكس فيه صارومين لكم وللأخ محمد ؛ و١٣ كوفية لكم وللأخ محمد وللخال محمد بن عفيف واحدة والأخ حسين الكاف ثنتين ، ومسدرة للولد شيخ بن عمر وجبة وسديرية لكم ، ودوى الضارب ثلاث ؛ للأخ محمد واحد ، هذا لقصد التذكرة والدعاء ، لتكون الأمور ميسرة ، يا أهل التقوى ويا أهل المغفرة . وكتبكم تاريخ رمضان و ٩ شوال وصلت وفهمنا مافيها ، وسرنا وصول الحبايب آل هادون أهل السر المصون والكنز المدفون إلى المكان ، وبهم يصلح الشأن ، ويخزي كل شيطان ويكبت كل شان ، والعفو منكم والسلام عليكم وعلى من لديكم من الحبايب والمحبين ، والأخ محمد وأولاده ، كما

هو منا ومن الوالدة ومن الإخوان الجميع طالب الدعاء ولدكم علي بن أحمد بن عبد الله بن طالب العطاس ، حرر ليلة الإثنين و ١٢ ذوالقعدة سنة ١٣٥٠ هـ

مكاتبة أخرى من الوالد رحمه الله للفقير ، يقول في آخرها : ياولد عمر إذا أحزبك أمر أوحال فللذي أوصيك به سبعا أوسبعين من حسبي الله ونعم الوكيل ، وأيضا حسب ما يمكنك لاتقابله بمقتضاه في الحالات كلما تأنيت فيكون لك ومنه من مولاك ظهير ونصير ، ونستودعك الله وإخوانك وأهلك ، واجعل هذه الرقعة في محل تتطلع عليه كل يوم . انتهت .

مكاتبة أخرى في ضمنها وصية من سيدي الحبيب محمد بن عبدالله بن محسن العطاس وذلك بعد الطلب من الفقير وهي هذه ، قال رضي الله عنه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي ملاء قلوب الصابرين بمحبته ، وأحياهم برحمته ، ونجاهم من زلازل نقمته، وأعطاهم مايقربهم إليه من دقائق حكمته ، ورزقهم التقوى بفضله ومنته، وأدلهم بدلائل الخيرات لخدمته ، وهيأهم في دياجي الليالي لطاعته ، وحلاهم لمناجاته ، على قدم من أيد الله سنته واستدامة شريعته ، اللهم صل على سيدنا محمد الموعود بأعلى عليين في جنته ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وعترته ، صلاة تدخلنا بها في

زمرته ، وترفعنا بها لشفاعته ، مع الشهداء والصالحين من أمته ، آمين اللهم آمين . أما بعد : لقد وصل إلي الكتاب ولذيذ الخطاب من لب الألباب وسلالة الأنساب السادة الأطياب ، حفظه الله من كل أذية وارتياب ، الولد المبارك الطائع لله الواحد القهار ، المحفوظ من كل بلاء وعار ، ومن جميع الأشرار ، الأبر الأنور عمر ابن الشيخ الكبير القطب الشهير ، الساير على قدم البشير النذير ، الحبيب أحمد بن عبدالله بن طالب بن علي بن حسن العطاس ، ياولد عمر : عافاك الله ونجاك ، وحماك من كل بأس ، ومن شر الجنة والناس ، وصل كتابك وخطابك ، وعرفنا ما شرحته من الصدق الصريح والكلام المليح ، وطلبت الوصية من الظروف الخلية ، من فقير حقير مختاف من التقصير وقل التشمير ، والسبب قل العلم والعقل والحلم ، عبرت أيامنا في بطالة وفي خس حالة ، والله يعفو عنا ولايواخذنا بما كسبنا من الذنوب ، وكثرة الكذوب والعيوب ، عسى علينا يتوب ، فقد قال سبحانه وتعالى ﴿ **إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين** ﴾ . الأول : أوصيك بتقوى الله لأنها الزاد والزواد إلى الوصول والإجابة والقبول ، قال تعالى ﴿**ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب** ﴾ فهذه آية من آيات كثيرة شهيرة في تقوى الله ، تسد الحليم

الفهيم ، الذي يريد دار النعيم المديم والدار الآخرة ، ولكن لابد من الصبر مع ذلك ؛ لأن التقوى ما تكون إلا بالصبر وقد قال تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون** ﴾ واعلم إن الفلاح والصلاح في تقوى الله مع الصبر ، قال تعالى ﴿ **ولنجزين الذين صبروا أجرهم مرتين بأحسن ماكانوا يعملون** ﴾ والصبر كنز المرء في جميع الأحوال والأقوال والأفعال ، فإن كنت ذلك كن عليه ويظهر لك سره وبره في الدنيا والآخرة ، وقال تعالى ﴿ **واصبر إن الله مع الصابرين** ﴾ فالصبر فيه النصر ، ولو كان مر لكن ترى عقباه حالي ، عليك بالصبر على كل حال من الأحوال في العادات والعبادات ، إذا عرفت وكان ذلك دأبك زال عنك الهم في كل شيء تنويه من أمور الدنيا والآخرة ، فالنية الصالحة مع الصبر يبلغ صاحبها مقاصده كلها ، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرء مانوى . إلى آخر الحديث ، هذا فصل . ونحثك على طلب العلم الذي فيه نجاتك في الدنيا والآخرة ؛ لأنه الطريق إلى أحد السبيلين أما إلى النجاة وإلا إلى الشقاوة ، واعمل بعلم العاملين الورعين المتعففين القائمين على ما جاء عن سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم

للنفع ولعامة المسلمين ، وانشر الدعوة إلى الله وابذل النصيحة للخاص والعام تفوز بالخير كله ، وعاشر الناس بأخلاق حسنة والرفق والشفقة من صميم قلبك ، وقربهم بالبصر تظفر بهم وتظفرهم بما معك من العطايا الكسبية والوهبية ، لأنهم مثل الصيد الذي في الشعاب إذا شاف ابن آدم فر من هيبة القناصة ، وأهل هذا الزمان مابذلوا لهم أهله ولاعاد ذاكروهم فيما يقربهم إلى الله ، وإن أحد من أهل العلم جالسهم أعطاهم على مقتضاهم ولابذل لهم النصح ، اضمحل العلم واتسع الجهل والعياذ بالله ، خذ حذرك من العالم الذي ماينصح ولايعمل بعلمه ولايعلم الناس فاعلم انه خاسر من كل وجه ، تعلم العلم واحرص عليه وأمر بالمعروف وانه عن المنكر ولاتأخذك في الله لومة لائم ، ورتب الأوقات للجماعات والمذاكرات ، وخذ من كل صالح من الإجازات في كتب الفقه والتصوف واللغة ، واحرص على راتب الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس ، وعلى ورد الحبيب علي بن حسن كما العشرة الأذكار الكبار المشرقة الأنوار المشهورة بالفوائد والموائد ، وطالع في كتب الحبيب علي تجد فيها الذي يسرك ويرشدك ، واترك أهل الزمان واقبض اللسان من الغيبة والنميمة وكثر الهذيان ، وبر أهلك وصل رحمك وقم الليل واتل القرءان في القيام ، واحذر من النوم تسلم من اللوم ، واحفظ الجار واكرم الضيف ، واصحب الأخيار

وابعد عن الأشرار ، واحذر من أهل الربا لاتسايرهم ولاتواكلهم ولاتجالسهم ولاتجي بيوتهم لأنها بيوت خراب ، واحذر قطاع الصلاة ومناع الزكاة لأنهم في أكمل الباطل ، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : قاطع الصلاة ملعون في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ، واحذر من المطففين في المكيال والميزان ، قال تعالى ﴿ **ويل للمطففين * الذين اكتالوا على الناس يستوفون * وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون** ﴾ النعمة في الورع والنقمة في الطمع ، وافكر ومد النظر يتضح لك الحال بغير سؤال ، وتكفيك البلاد عبرة بما كان فيها من عمار ودمار ، فاعتبروا يا أولي الأبصار ، وصلى الله على سيدنا محمد المختار ، وعلى آله وصحبه وسلم ، والسلام عليكم وعلى من لديكم الصنو شيخ وابنكم محمد بن عمر وكافة أهل بيت آل طالب صغير وكبير ، وعلى الشيخ محمد وجيه ومن يسأل عنا ومن حضر مقامكم العزيز ، وخص نفسك منا بجزيل السلام ، والعفو مطلوب من زائد وقاصر ، واستروا ما رأيتوا منا ، وإن شي قصر أوغيار أصلحوه ، والسلام . حرر : ١٦ محرم سنة ١٣٢٦ هـ طالب الدعاء وباذله : محمد بن عبد الله بن محسن العطاس عفا الله عنه .

(فائدة) ولما كان بتاريخ ٢٤ شوال سنة ١٣٦١ هـ فقد حصل الإتفاق بالسيد الجليل سلالة الأفاضل كابرا عن كابر الحبيب علي بن محمد بن عيدروس بن عمر الحبشي صاحب العقود الجوهرية ، وذلك بعد وصوله من حضرموت زائرا جهة دوعن ومعه الشجرة العلوية لحفظ أنسابهم الطاهرة بعد إثبات أسماء الأولاد ، طلبت منه إجازة بالإتصال به وبمشايخه ، فأنعم لي بذلك فالحمد لله ، فأحببت أن يكتبها بيده الشريفة فكتب ما صورته :

حصل الإتفاق بالحبيب عمر بن أحمد بن طالب العطاس وطلب كل منا ومنه الإجازة وحصلت بحمد الله وله الشكر ، وذلك يوم : ٢٤ شوال سنة ١٣٦١هـ ، علي بن محمد بن عيدروس بن عمر الحبشي .

إجازة أخرى : من سيدي وشيخي الحبيب العالم العلامة عين أعيان مدينة تريم الوالد البركة والنور ، الإمام الهمام المقدام ، الشاجع الصمصام ، ذي القدر العلي مولانا الحبيب علوي بن عبد الرحمن المشهور ، وكتب الإجازة بيده الشريفة فأحببت إثباتها هنا ، قال رضي الله عنه :

الحمد لله فقد طلب مني الإجازة الولد المقبل بحسن الأدب إلى ما فيه صلاح الحال والمنقلب ، عمر ابن الحبيب أحمد بن عبد الله بن طالب العطاس فأجزته نائبا عن من عهد إلينا أن نجيز من

مشايخنا ، فالأصل هموا والواسطة إن كان ثم شي منهموا ، أقول معترفا : أجزت هذا الولد في جميع ما تضمنه العقد لسيدنا عيدروس بن عمر الحبشي من التعليم والتعلم والأذكار والسند العال في الحديث وفي جميع ما صحت لي درايته وروايته من فقه وتفسير وحديث ، وأن يقول في أوقاته ماستطاع : اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرني من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ، وقبلها يقول : يا الله (ثلاثا) ياعلي ياعظيم . وأرجوه الدعاء . تحرر في : ١٦ من ضفر سنة ١٣٣١ هـ كتبه عجلا بقلمه وتلفظ بفمه أسير القصور : علوي بن عبد الرحمن المشهور ، لطف الله به . اهـ

ثم نختم هذه الإجازات بما ورد عن بعض العارفين بالله والدالين عليه ، وذلك تشويقا للخاطر ليقر به الناظر حيث يقول القائل شعرا :

تعرض لنفحات الإله وبابه ... أدم قرعه فالباب يوشك يفتح

وقال غيره :

ومن لم يكن في طاعة الله شغله ... على كل حال لايفــوز ببغية
ولاينشق الفياح من طيب حضرة الـ ... ـوصال إذاهبت نسيم العناية

ومن كلام بعض الأولياء الأكابر على سبيل الرجاء وحسن الظن بالله وبعباد الله الصالحين يقول : تفضل سبحانه وتعالى على

العام بوجود الخاص ليكون سببا لتأخر العقوبة ، وربما لصفحها ، وربما كان سببا لتبديلها إحسانا كما قيل شعرا :

ألا إن وادي الجزع أضحى ترابه　　من المسك كافورا وأعواده رندا
وماذاك إلا إن هـــندا عشية　　تمشت وجرت في جوانبه بـردا

إنتهى ما أردنا نقله وبالله التوفيق إلى أقصد طريق مع أسعد فريق وأمجد رفيق ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

كان الفراغ من طباعته ليلة الخميس و ١٨ شعبان سنة ١٤١٨ هـ وأعيدت طباعته للمرة الثانية وكان الفراغ منها عشية يوم الأحد ٢٢شوال سنة ١٤٣٣ هـ بالأحساء . بعناية نجله : أحمد بن عمر العطاس